تاريخ الطباعة والصحافة فى مصر
خلال الحملة الفرنسية
١٧٩٨ - ١٨٠١

للدكتور
ابراهيم عبده
أستاذ الصحافة المساعد بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

الناشر : مكتبة الآداب بالجماميز تليفون ٤٢٧٧٧
المطبعة النموذجية
٦ سكة الشابورى بالحلمية الجديدة

تاريخ الطباعة والصحافة فى مصر
خلال الحملة الفرنسية
١٧٩٨ - ١٨٠١

للدكتور
ابرهيم عبده
أستاذ الصحافة المساعد بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

الطبعة الثانية مذيلة مزودة

الناشر : مكتبة الآداب بالجماميز تليفون ٤٢٧٧٧

المطبعة النموذجية
٦ حارة الشابورى بالحلمية الجديدة

مصادر البحث

عنى المؤرخون المحدثون ـ فرنجة ومصريون ـ بتاريخ مصر الحديث . وانصبت عنايتهم ورعايتهم على شئون مصر السياسية وانصرفوا عن التخصص لدراسة أوجه النشاط المختلفة التى ترتبط من قريب أو بعيد بما انقطعوا له وشغلوا به المكتبة المصرية الحديثة ، حتى خصنى أستاذى محمد شفيق غربال بك بدراسة ناحية من هذا التاريخ وهى ناحية تاريخ الصحافة المصرية وتاريخ معاوناتها المادية ، ومنذ وكل إلىّ سعادته هذه الدراسة وأنا حريص على أن أحقق ثقته فى واحد من طلابه الكثيرين الذين يذكرون له فضل التوجيه والإرشاد ، وذلك بالتأر… لهذه الناحية من تاريخ مصر الحديث .

وقد عمدت إلى نشر هذه الفصول فى كتيب منذ ثمانية أعوام ، حتى إذا وجدت الحاجة إلى إعادة نشره ملحة راجعت فصوله وزدت فيها زيادة ملحوظة ، وأضفت إليه فصلاً عن « تاريخ المطبعة » عامة وفى الشرق العربى خاصة حتى يستوفى البحث مقدماته كما استوفينا المتن بدراسة عميقة للمطبعة والصحيفة فى السنوات الثلاث التى قضتها حملة بونابرت فى مصر .

ويبدو لى أن مجلة المشرق تعتبر من أمهات المراجع فى تاريخ المطبعة فى الشرق العربى ، لذلك اعتمدنا عليها اعتماداً قوياً فى دراسة مقدمة الطباعة فى هذا الشرق ، كما راجعنا كتب المعاصرين وخاصة الرحلات التى قام بها جماعة من الفرنجة أمثال دولاروك De LaRoque وفولنى Volney .

وتنقسم أهم المصادر التى رجعنا إليها فى هذا البحث إلى عدة أقسام ، بعضها وثائق وبعضها كتب معاصرة أو حديثة وبعضها الآخر مقالات نشرت فى المجلات العلمية ثم الصحف التى صدرت فى ذلك العهد ثم عدنا إلى أهم الوثائق فى مكتبة هذه الرسالة القصيرة ومنها مراسلات نابليون الأول Correspondance de Napoléon Ier وخاصة الجزأين الرابع والخامس من هذه المراسلات ، وقد نشرت بأمر الأمبراطور نابليون الثالث ، وتضمن الجزءان المشار إليهما جميع الأوامر التى صدرت من الجنرال بونابرت القائد العام للحملة الفرنسية بشراء مطابع الحملة ونقلها والأشراف عليها . وكذلك اعتمدنا بعض الاعتماد على كتاب « وصف مصر - Description de l' Egypte- وهو خير مؤلف نشر عن جهد الحملة الفرنسية فى جميع نواحى الحياة المصرية ، وقد قام بتصنيفه علماء الحملة وقادة الفكر فيها واستوجب إخراجه بضع سنوات من مطلع القرن التاسع عشر

وقد كتب بعض المعاصرين عن الطباعة والصحافة فى مصر من أمثال دجنت Desgenettes كبير أطباء الحملة الذى ساهم بقسط وافر فى علاج داء الجدرى فى مصر ، وقد تضمن كتابه الذى نشره عن « تذكار طبيب فى حملة مصر »

(Souvenir d'un médecin de L'éxpédition d'Egypte) وهو كتاب لطيف وقيم بعض ما يخص المطابع والصحف المصرية ، وأشار جالان Galland أحد موظفى المطبعة إلى النشاط المطبعى والصحفى فى كتابه (صورة لمصر خلال إقامة الجيش الفرنسى) «Tableau de l'Egypte Pendant le séjour de L'armée française »

ولا يتميز هذا الكتاب إلا بمبالغة صاحبه وادعائه ، غير أن كاتبه يذكر أحيانا بعض شئون بحثنا فى شيء من الدقة لارتباطه الوثيق بتلك المؤسسات ، وكذلك

ذكر بورين Bourrienne فى كتابه « مذكرات بورين Mémoires de M. De Bo-urrienne » قليلا جداً عن المنشآت الصحفية التى أوجدتها الحملة الفرنسية ، وكان بورين هذا سكرتيراً خاصاً لبونابرت ، وعيب كتابه الواضح اعتماده فى أكثر ما كتب على الذاكرة .

ومن المؤرخين المحدثين الذين أفادتنا مؤلفاتهم François.Charles-Roux فى كتابه « بونابرت حاكم مصر Bonaparte Gcuverneur d'Egypte » ويمتاز هذا الكاتب بأسلوبه الرائع وطرائقه البديعة فى تناول بحوثه ، وله فى كتابه هذا فصل عن الطباعة والصحافة المصرية على عهد بونابرت يعتبر أحدث وأدق ما كتب فى هذا الموضوع ؛ ومن الذين رجعنا إليهم أيضاً مينييه Munier فى كتابه « الصحافة فى مصر ١٧٩٩ — ١٩٠٠ . La Fresse en Egypte 1799 — 1900 » وهو كتيب صغير درس الصحافة المصرية دراسة سريعة وأهم فصوله تخص تاريخ الصحافة فى عهد الاحتلال البريطانى .

وقد شغلتنا الصحيفة العربية التى ذكر أكثر من مؤرخ أنها صدرت فى عهد الجنرال بونابرت ، فرجعنا لتحقيق هذا الموضوع إلى روسو Rousseau فى كتابه « كليبر ومنو فى مصر منذ رحيل بونابرت »

Kléber et Ménou en Egypte depuis le départ de Bonaparte

وكذلك ساهم الجبرتى فى تاريخه « عجائب الآثار » فى كشف حقيقة هذه الصحيفة المزعوم نشرها ، ومثله فى ذلك ريجو Rigault فى كتابه « الجنرال عبد الله منو وآخر مظهر للحملة المصرية »

Le Général Abdallah Menou et la dernière phase de l'éxpedition d'Egypte

وإلى هذه المصادر الثلاثة يرجع الفضل فى تحقيق قصة الصحيفة العربية تحقيقا علميا يضع حداً للخلاف على أمرها بين الكتاب والمؤرخين .

أما المقالات العلمية وأهمها مقالات بولان Belin فى « المجلة الأسيوية JournaL Asiatique » لسنة ١٨٥٤ وقد انصب بحثه على شؤون المطابع ومدير المطبعة ، ومنها أيضاً بحث نشره كانيفيه Canivet عن « حملة مصر » فى إحدى المجلات العلمية التى تصدر فى مصر منذ قديم La Revue Internationale d'Egypte 1906 ولنفس الكاتب بحث آخر نشره عن مطبعة الحملة وصحفها وجلسات المجمع العلمى فى Bulletin de l'Institut Egyptien 1909 ، ومن الذين نشروا مقالات عن المطبعة جيس Geiss فى مجلة المجمع العلمى ١٩٠٧ ويبدو أن الكاتبين الأولين أكثر دقة ووضوحا من جيس .

أما الصحيفتان المصريتان Le Courrier و La Décade فقد رأينا أن أفضل طريقة لتأريخهما الرجوع إليهما لأنهما تضمنتا كثيراً من تاريخهما ، وعندى أن تحليل ما فى الصحيفتين أجدى على الباحث من التفاصيل الأخرى ، وهاتان الصحيفتان نادرتا الوجود فلا تحتفظ بأعدادهما كاملة إلا المكتبة الأهلية بباريس والمتحف البريطانى بلندن أما فى مصر فإن دار الكتب المصرية تحتفظ بالصحيفتين وإن نقصت لو كوربيه بعض أعدادها التى نقلت مخطوطة من مجموعة باريس .

وسائل النشر فى مصر قبل المطبعة

لم تكن الصحف على عهدنا بها ومعرفتنا لها شيئاً نبت فى حياة الجماعات دون مقدمات ، كما أن حياة العالم الحديث ليست شيئاً جديداً خالصا بل هى تطور لجيل سابق هو نتاج لأحداث أجيال وأجيال ، والصحافة الحديثة ملخص لحياة الأمة التى تصدر فيها ، سواء كان ذلك الملخص يتصل بالحكومات أو بالأفراد والجماعات فهى فى غايتها الأولى سجل لحوادث يومية أو أسبوعية أو ما إلى ذلك من أخبار محددة بزمن معروف ، والخبر فى ذاته يذاع فى أول أمره ثم ينقل ثم تتلقفه الصحف مدونة مسجلة ، وتعيده لتقرأه الجماعة الكبرى ، وبذلك أصبحت وظيفة الصحف الأولى نقل الأخبار إلى الرأى العام المحلى أو الخارجى فى نشاط متفاوت وبطرق شتى يتفنن لها الصحفيون المحدثون .

ونقل الأخبار أو تدوينها معروف من العصور القديمة حيث صاحبت الطرق الأخبارية الحياة المصرية منذ عهد الفراعنة الى دخول الفرنسيين فى مصر ، وقد تغيرت الأساليب الأخبارية فى هذه الأجيال المتعاقبة فى أشكال وصور مختلفة ، فاستعمل الفراعنة معابدهم وألواحهم وأحجارهم لتدوين حياتهم وشئون جماعاتهم وتصوير ظروف عصرهم بما فيه من النواحى التاريخية والحربية والسياسية والاجتماعية . وإذا كان هذا التسجيل يكاد يكون أمراً خاصا يبعد عن الطرق الأخبارية التى سنذكرها فأن الطريقة الأخبارية القديمة قد عرفت بوضوح حين عرف المصريون

الـكتابة ورأى ملوكهم فى تسجيل حوادثهم ونقشهـا على الحجر ضرورة تمليها ملابسات حياتهم الملـكية ، بيدأن هذه الأخبار الملـكيةقد أصبحت فيما بعدأكثر عمومية إذ رأى الملوك أن يصلوا أمور الحياة المختلفة النواحى بشعوبهم فكان الأمير المصرى إذا أراد أن يعرف المصريين خبراً من الأخبار أمر بتدوين هذا الخبر على الأحجار بالخط الهيروغليفى ووضعه فى مكان معروف لتراه الجماهير ، ولما كانت المعابد المصرية فى ذلك الوقت حرماً عنده المثوبة وفيه الرجاء ولها فى حياة النـاس أثر وأى أثر وكانوا يقبلون عليها خفـافا، وتشغل من وجودهم قدراً ببراً اختارت الحـكومة إذاعة أخبارها عند مداخل تلك المعـابد . وقد ذكرت إحدى الوثائق هذه الطريقة الأخبـارية بأمر لأحد ملوك مصر يقول فيه « يأمر الملك نفر ـ كى ـ رع Nefer—ke—re أن تنقش صورة من هذه الوثيقة على الحجر، وتوضع فى مدخل معبد كوبتوس Koptos حتى يراها سكان تلك الناحية»[1] ومهما يكن من أمر هذه الطريقة الأخبارية فأنها تعتبر أول خطوة عرفتها مصر فى نظامها الأخبارى .

ثم مضت الحـكومات المتتابعة على هذا النسج فأصبحت تدون جميع الحوادث والأخبار العامة على الأحجار والمقابر والمعابد لتعلن للنـاس ماخفى عليهم من سير الملوك وأخبـارهم فى السلم والحرب واحتفظ بهذه الطريقة البطالسة والولاة الرومان وعمالهم فى الأقاليم المصرية ، فرأينا لائحة منقوشة على واجهة معبد « هيبيس » عند مدخله الخارجى تضمنت القانون الذى يجب أن يخضع له الحاكمون والرعية ضماناً لحسن سير العدالة ، وفسرت قواعد جبـاية أموال الدولة وأنذرت

---

(١) ص ٧ Galal-Entstehung und Entwickluug der Tagesqresse in Agypten

بالعقاب عن الجرائم المتفشية وأهمها الرشوة والبلاغ الكاذب ، كما بينت هذه اللائحة أنظمة التحقيق وطرائق البحث والفصل فى القضايا المدنية وقد نقشت هذه اللائحة باللغة الأغريقية فى ٦٦ سطرا ؛ كما نقشت لوحات أخرى باللغة الأغريقية أيضا تضمنت بعض النصح والزجر من المحافظ الرومانى فى عصر تيبيوس كلوديوس قيصر روما إلى الأهالى وإلى جباة الأموال .

وقد جرت الحكومات المتأخرة فى مصر على أن تتصل بالرعايا المصريين وتصدر بين آن وآخر نشرات تبرر فيها نظامها وقواعد أحكامها [١] ثم تبين لها أن أن الخط الهيروغليفى وحده لا يكفى لنشر أخبارها ، كما وجدت مادة أخرى غير أحجار الجرانيت تنشر عليها حوادثها ، فرأينا الأوامر منشورة على الأحجار وورق البردى بلغات شتى كالخط الهيروغليفى والديموطيقى واليونانية ؛ وكانت الأخبار والأوامر تعلن على الجماهير لا عند مداخل المعابد فقط بل فى أمكنة ظاهرة منها [٢] وقد تفرد ملوك البطالسة بأذاعة أوامرهم على البردى [٣] واعتبرت هذه الطريقة خطوة جديدة فى وسائل الأخبار .

هذا بعض ما حدثتنا به الوثائق التاريخية ، على أن هناك من الوسائل الأخبارية التى نلاحظها فى حياة الريف المصرى ما نرجعه الى الأيام الغابرة ، وقد لاحظنا بعضاً منها وسألنا عنه من سكان الريف كثيرين [٤] لعلنا نعرف مصدره فأذا بهؤلاء جميعاً يجيبون بأن ما سألنا عنه قد توارثوه عن أجدادهم ؛ ولما كانت أعمال الحياض

---

(١) ص ٣٥٦ ج ١ Butcher . The Story of the Church

(٢) المصدر السابق تأليف كمال الدين جلال ص ٨

(٣) ص ١٥١ Bevan. A History of Egypt Under Ptolemic Dynasty

(٤) سمعنا هذا من سكان قرية العواسجة بهيا مديرية الشرقية

وجسور النيل أيام الفيضان تتصل اتصالا مباشراً بالمصريين من القدم، فكل عمل متصل بالفيضان وطرق الأخبار عنه غير معروف مصدره فى الوثائق نرجعه نحن ترجيحا الى العصور المتقدمة مادام هذا الأمر متوارثا جيلا بعد جيل، (فأنفار العونة) المعروفين لنا كلما فاض النيل وما كانوا يسمون فيما بعد أنفار السخرة لم تكن وظيفتهم تتصل بكفاح النيل وتقوية جسوره فحسب بل كان منهم من تخصص فى تبليغ الجهات المسئولة الحالة ساعة بعد ساعة، فهم وقوف على أبعاد متساوية ينبىء أحدهم بأمر ما فينقله زميله إلى زميل آخر، ويعبر الخبر بهذه الطريقة أميالا كثيرة فى وقت قصير حتى يبلغ المختصين فيقوموا الى سد ثغرة أو تقوية جسر. هذا النظام الأخبارى الذى له من العمر أيام فى كل عام معروف لدى الفلاحين المصريين منذ قديم الزمان (١)

وتقلبت الحياة المصرية بعد ذلك فى أعطاف حكومات من العرب والترك والمماليك، وأخذت الأساليب الأخبارية تتطور بعض الشيء بتطور الأزمنة، فدخل فى مصر الدين الأسلامى، وشيد العرب المساجد فاحتلت مكان المعابد المصرية القديمة، وأخذ المؤذنون على أنفسهم غير الدعوة الدينية والقيام فى الناس مؤذنين الدعوة الى الجهاد أو الى الهدوء والاستقرار، ثم مضت المساجد تحتل من قلوب المسلمين المصريين مكانة رفيعة، فبعد أن كانت مآذنها تدعو الناس الى الصلاة، وبعد أن كانت منابرها مقصورة على الدعوة الى الدين والحياة فى حدود الله والعمل بشريعته، أصبحت موضعا مهما من المواضع التى تعلن فيهـا الأخبار السياسية

(١) يقول اللورد دوفرين سفير انجلترا فى الاستانة إن نظام أنفار العونة فى مصر نظام يرجع تاريخه الى ستة آلاف سنة — راجع «مذكراتى فى نصف قرن» ص ٢٣٢ لأحمد شفيق باشا

المتصلة بحياة المسلمين كلما جد في حياتهم جديد حيث يجتمع فيها الناس على هيئة جمعية عمومية للمسلمين أو تكاد ، قال الحافظ سبط بن الجوزى فى كتابه مرآة الزمان « خرج قيس بن سعد بن عبادة من عند على حتى دخل مصر فى سبعة نفر وصعد المنبر وقعد عليه وقرأ كتاب على على الناس » وأعقب ذلك قيام قيس وطلبه البيعة من الجماهير التى كانت بالمسجد فوافقوه على مبايعة على [1] والفكرة فى كتاب على أنها شديدة الشبه بمرسوم ملكى يذاع على منبر المسجد ومكانه فى عهدنا الحديث الصحف السيارة ، فأخذ منبر المسجد على عاتقه أداء هذه الرسالة الصحفية وبقيت قراءة الأخبار من على المنابر الطريقة الوحيدة حتى عهد الأيوبيين ثم رأينا الحاكم فى عهدهم إذا أراد تنفيذ رغبة أمر بأعلانها وكتب « توقيعا قرىء على منابر مصر والقاهرة وسار البرد بذلك » [2] أى أنه جد جديد على طريقة المنابر وزاد عليها الرسل ينقلون مايقرأ على منابر القاهرة فى شتى الأقاليم .

ثم اتسعت الحياة المصرية وكبرت مدنها وتطرفت أحياؤها ولم يعد الجامع والمسجد كافيين للأذاعة بين المصريين ، مسلمين وغير مسلمين ، فاتخذ الولاة والأمراء المنادين أداة للأعلان فكانوا عدة صحفية لا بأس بها تلائم تلك العصور ، يطلقونهم لدعوة الناس الى خير أونهيهم عن منكر ، وقد حدث سنة ١١٠٧ هـ بعد عودة أحد الوزراء من الشام الى مصر أن « رأى فيها الغلاء فأطلق المنادين بجمع الشحاذين » ووزع هؤلاء الشحاذون الذين لبوا نداءه على الأغنياء ليتكفلوا بهم طعاما ولباسا . ولما ختن ابن ابراهيم بيك الكبير أطلق منادياً يذيع أن من كان

(١) النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة لتغرى بردى حـ ١ ص ١٠٩ ، ١١٠

(٢) الخطط التوفيقية حـ ١ ص ٢٩

عنده ولد فليات به ، فبلغ عدد الأولاد الذين ختنهم مع ولده ألفين وتسعمائة وثلاثين غلاما . . . . . . »[1]

هذه الطريقة الاخبارية — طريقة المنادين — معروفة إلى وقتنا هذا بالرغم من وجود الصحف وقيامها بأذاعة الأخبار فى الجماهير ، وهى معروفة بشكل واضح فى بعض قرى الأرياف حيث يطلق المنادون فى القرية يذيعون أفراح الأسر وأخبار الوفيات كما يستطلعون المواطنين أحيانا أمر شاة ضائعة أو طفل تائه !

ثم أقبلت الحملة الفرنسيه واعتمد بونابرت فى إذاعة أخبارها وأوامرها فى الأهالى على الطرق القديمة وأضاف اليها جديداً لولا مطبعته لما استطاع اليه سبيلا ، فكان إذا أراد أمراً هيأ لمعرفة الناس به أوراقا مطبوعة « لصقوا منها نسخا فى مفارق الطرق ورءوس العطف وأبواب المساجد »[1] وهذه الطريقة الحديثة تعتبر فى حياة مصر من الناحية الاخبارية نهاية عهد قديم وبداية عهد جديد، يرجع الفضل فيها الى بونابرت الذى مضى على سياسته المرسومة فى تهيئة الظروف الملائمة لفهم البلاد التى فتحها وتعريف مواطنيه عليها وإيجاد صلات بينه وبين الشعوب التى حكمها بأذاعة المنشورات وإصدار الصحف حتى زعموا أنه كان صحفيا بطبعه ، ومع أن هذا الرأى مبالغ فيه إلا أنه من المحقق أن نابليون كان يعجب أشد الأعجاب بالصحافة فى جميع مراحل حياته، وكانت تستهويه قوتها ويبهره أثرها فى الحياة العامة. وقد خدمته الصحافة فعلا ؛ فهى التى أشادت بذكر حروبه فى إيطاليا وهيأت له مجال

---

(١) الخطط التوفيقية ج ١ ص ٣

(٢) الجبرتى . عجائب الاثار ج ٣ ص ١٩

الظهور فى فرنسا ، وقد استغلها فى أثناء حكمه قنصلا وأمبراطورا . وكان يملى بنفسه أحيانا بعض الملاحظات على سكرتيره بورين لتنشر فى صحف باريس(١) غير أنه فرض عليها رقابة قوية ليدفع عن نفسه شر معارضتها ثم سمح لها بعدئذ بالظهور والانتشار وسط الجماهير على أن تكون اللسان اللاهج بذكره(٢) وكانت أحب الصحف إليه ما ابتعد منها عن الجدل السياسى سواء كان له أو عليه وشغلت صفحاتها بالأخبار العادية ولفتت الرأى العام بنقاش أدبى أو اجتماعى ؛ وكانت هذه الصحف الأدبية أو الاجتماعية تحظى بقدر عظيم من عطفه ورعايته ، وكان يمنحها كثيرا من الحريات (٣)

ولما كان بونابرت فى إيطاليا يدافع جيوش النمسا ويقود جنود الجمهورية من نصر إلى نصر لم ينس هذا السلاح الخطير فى كفاحه فأنشأ صحفاً فى إيطاليا وفى مالطه فيما بعد واستخدمها فى الدعايه له بين جنوده ومواطنيه (٤) أنشأ جريدة سماها « بريد الجيش Le Courrier de l'armée » وكان رئيس تحريرها المسئول المسيو جوليان ؛ وكانت مقالات الصحيفة المهمة يوعز بها بونابرت نفسه ، ثم أنشأ جريدة أطلق عليها اسم « La France vue de l armée d'Italie » (٥) أى « فرنسا كما يراها جيش ايطاليا »

(١) ص ١٣٠ Weill .Le Journal, Origines, Evolution et Rôle de la Presse Périodique

(٢) ص ١٢٩ Weill. Le journal, Origines ,Evolution et Rôle de La Presse Périodique

(٣) ص ١٣٤ Weill. Le Journal, Orignes, Evolution et Rôle de la Presse Périodique

(٤) شارل رو ص ١٤٤

(٥) كانيفيه مجلة المجمع العلمي ص ١٥

كان من النتائج المنطقية أن يفكر الجنرال بونابرت في إصدار صحف في البلاد المصرية فأنه لم يقدر حين كان في إيطاليا أو مالطه أن ينأى به المطاف بعيدا وتطول به فرقة بلاده دهراً طويلاً ، وكان يعلم في غزوه لمصر أنه مقبل على بلاد لا يسهل فتحها في اطمئنان وفي هـــدوء فأنه سيحارب يوماً ما الشعوب الإسلامية عندما تتأزم الأمور بينه وبين السلطان ، كما أنه من المقرر أن الحرب بينه وبين الإنجليز ستكون من أجل مصر نزالا لا تعرف نهايته ؛ وهذه تقديرات من شأنها أن تفرض عليه لونا من الاستقرار .

التفت القائد العام فإذا معه من الجنود أولئك الذين شهدوا الهزات الخطيرة التي خلقتها الثورة الفرنسية ولا يزالون يعيشون فيها ، كانوا في فرنسا على علم بكل ما يدور حولهم غير أنهم في مصر بعيدون عن بلادهم بعداً شاسعاً ، في جو ، فيه من الوحشة ما يثقل بوجودهم ، هم في منفى إذا قيست حياتهم بحياة زملائهم في فرنسا أو في خارجها ، في حرب أو سلم ، فأن أبعد البلاد في أوروبا عن فرنسا أقل مشقة من الأسكندرية إلى قنا ، لذلك كان من الطبعي أن يطب لهم بونابرت ويفكر في أمر يسليهم ويروح عنهم ويقفهم على حياة بلادهم ويعرفهم شيئا عن الوسط الذي يعيشون فيه ، لذلك أصدر جريدة « لوكوريه دوليجبت »

ثم وجد أن معه من العلماء والأدباء والمهندسين والمفتنين وغيرهم عددا لا يستهان به ، فيهم كثير من العلماء أمثال مونج وبرتوليه ومن إليهما ، قادهم جميعا ليخلق بهم إدارة وحكومة ترفع الجهل عن أمة الفراعنة وتعيد إليها ترفها العقلي والمادي المعروفة به من قديم الزمان [١] هؤلاء جميعا لم يأت بهم إلى مصر اعتباطا

---

(١) ص ١٢٠ Bainville. Napoléon

فقد كان بونابرت يعتمد عليهم اعتماده على فرق الجيش ، يريد أن يجعلهم فى بحوثهم وإنتاجهم يشعرون بوجوده كمصلح عظيم ، ويقودهم إلى جو من البحث العلمى المنتج كما يقود جنوده إلى مواقع النصر ، ولما كان من آماله أن يتعرف الفرنسيون على مجهوده فى ساحة العـــلم وبروزه فيها كساحات الوغى قرر أن ينشىء صحيفة أدبية علمية ترسل إلى فرنسا ليطلع علماؤها على ما ينشر فيها كما تصبح سجلا لبحوث العلماء ، وفى ذلك يقول جوفروا سان هيلير فى رسالته إلى كيفييه Cuviet عضو المجمع العلمى بفرنسا « إن المجمع العلمى المصرى فى نشاط مستمر وأنى أؤكد أن جلساتنا تعادل على الأقل جلسات المجمع الفرنسى فى أعمالها وثمراتها ، وقد قررنا بناء على اقتراح زميلنا بونابرت أن نرسل إلى مجمعكم محاضر جلساتنا » (١)

وهذه المحاضر هى جريدة « لا يكاد اجبسين » تسبقه إلى فرنسا لتعلن مع نصره الحربى نصرا علميا ؛ وقد أعد لأخراج هاتين الصحيفتين مصنعا خاصا بالورق يمدهما ومطابعه بما تنشره من موضوعات وقرارات وأحكام (٢) .

---

(١) الرافعى . تاريخ الحركة القومية جـ١ ص ١٥٠

(٢) ص ٦٥ Bréhier. L'Egypte de 1798—1900

مقدمة فى تاريخ المطبعة

اختلف الناس فى نشأة الطباعة لأنهم اختلفوا فى معناها وحقيقتها وعاشوا أجيالا متصلة وهم على خلافهم هذا ، فقد زعم الشرقيون أنهم أصحـــاب هذا الفن وأهل هذه الحرفة وذهبوا فى ذلك إلى أن الكلدانيين كانوا أول من عرف فن الطباعة فكانوا يحفرون على الآجر ثم يحرقون هذا الآجر فيبدو عليه ما حفروا من كلمات وقيل إنهم وغيرهم استعملوا الحفر على الخشب ومن ثمّ آمن بعض المؤرخين أن الكلدانيين ومن أخذ عنهم من الشرقيين أصحاب هـذا الفن ، وهو رأى خطير لا يمكن الأخذ به والاعتماد عليه لأن الحفر على الطين أو النقش على الخشب ليس عملا مطبعيا فى أى صورة من الصور وإنما هو لون من التسجيل ليس غير .[1]

ثم زعم الصينيون لأنفسهم هذه الحرفة ، وزعم من بعدهم جماعة من العرب أنهم أول من استعمل فن المطبعة ولكن هذا الزعم لا يقدمنا خطوة عن المعانى التى جاءت فى أقوال الكلدانيين ومن إليهم . وكل ذلك يعنى فكرة (الحفر) لا فكرة الطبع ، فالمطبعة كما نعلم فى نشأتها الأولى حروف معدنية من (الأبّهات) (والأمهات) يمكن صفّها وتحبيرها ثم طبع الأوراق عليها فإذا فرغنا من طبعها حُلت الحروف لتجمع من جديد لغرض آخر كما نعرف فى كثير من المطابع المعاصرة ، وهذا هو فن المطبعة وصناعة الطباعة وكل ماعداها مقدمات لها وليست شيئا من المطبعة .

---

(١) راجع مجلة المشرق لسنة ١٩٠٠ العدد الثانى ص ٧٨ ومابعدها.

وهذا الذى قدمناله يجعلنا نجزم من غير تردد بأن المطبعة صناعة غربية لم تعرف فى أوربا إلا حوالى منتصف القرن الخامس عشر من مولد المسيح ، وهنا يختلف أهل الغرب فيمن صاحب هذا الاختراع فقيل فى رواية إنه يعود إلى الألمان وفى رواية أخرى تزعم أنه للهولنديين ومن الشائعات على ذلك أن مخترع المطبعة هو جوتنبرج Gutenberg وهو من الألمان وإن كانت شائعات أخرى تجزم بأن مخترع هذا الفن فوستر الهولندى وأن أحد صناعه سرق هذا الاختراع بآلاته وفر بها إلى ألمانيا حيث التقى هناك بجوتنبرج الذى هذب من شأن هذه الصناعة وقدمها للناس حدثا فى تاريخهم ينقلهم من الظلام إلى النور .

وسواء صحت قصة الهولندى أو لم تصح فإن التاريخ يجزم بأنه لا يعرف مخترعاً لفن الطباعة إلا حنا جوتنبرج الألمانى وقد ولد صاحب هذا الاختراع فى مدينة مينز فى مختتم القرن الرابع عشر الميلادى وقضى فيها صدرا من شبابه ثم ذهب إلى ستراسبورج بيد أنه عاد بعد أن اكتملت رجوليته إلى مهبط رأسه حيث استطاع أن يخترع لنا المطبعة وينشر فيها كثيرا من المطبوعات ، وقد عاون جوتنبرج بعض الصناع المهرة الذين كانوا يشتغلون بصناعة الصياغة ، ويبدو لكل مدقق أن وجه الشبه قريب بين صناعة الصياغة وبين صناعة الطباعة .

وقد بدأ جوتنبرج صناعة الحروف من الخشب وكان حجمها كبيرا ثم أخذ يتقدم فى فنه فاستطاع بعد فترة قصيرة أن يقدم للمطبعة حروفا خشبية صغيرة إلى أن تمكن آخر الأمر من أن يصنع حروف مطبعته من الرصاص ، وبذلك كانت مطبعته الرصاصية أول مطبعة بالمعنى المفهوم من أصول الفن وكانت فترة

اختراعها جديرة بأن تخلد فى التاريخ وتعتبر موعدا لنشأة الطباعة وكان ذلك حوالى منتصف القرن الخامس عشر .

ولا يحفظ لنا التاريخ آثارا من مطبعة جوتنبرج الخشبية غير أن فنه الذى استكمله بصناعة حروف الرصاص أخذ يتقدم بعد وفاته سنة ١٤٦٨ م فقد كان جوتنبرج يحفر الكلمات على الرصاص أما بعد وفاته فقد اخترع خلفاؤه من أمثال فوست وشوفر أمّهات الحروف وأبّهاتها وإليهما يعود الفضل فى تقديم المطبعة كاملة المعدات من حيث حروفها صغيرة أو كبيرة .

ويعتبر الإنجيل الذى طبعه باللاتينية جوتنبرج فى سنة ١٤٥٥ أول مطبوع نشر فى العالم بمدينة مينز وقد نُشر اسم طابعه الذى أثبت هذا المطبوع أنه أقدم طابع فى العالم وهو صاحب هذه الصناعة تقريبا أى جوتنبرج الألمانى . (١)

اشتهرت إذن مدينة مينز بأنها أول مدينة عرفت فيها الطباعة وقد انتقلت منها هذه الصناعة الجديدة إلى المدن الألمانية الأخرى ثم توزعت هذه الصناعة الحديثة بين أمم أوربا المتباينة وكانت أسبقها احتفالا بالمطبعة وتقديرا لها جمهورية البندقية حيث قامت المطبعة فيها بنشر كثير من الكتب الأدبية القديمة بجانب كتب الدين المسيحى .

وقد لقيت المطبعة فى فرنسا مكافحة عنيفة من رجال الدين خاصة فانهم اعتبروا نشر الإنجيل مطبوعا شيئا يقلل من قداسته واعتبروا أن صناعة الطباعة أمر يجب أن تحرمه الدولة وأيدهم فى هذا الاتجاه الناسخون المعاصرون الذين كانوا يعيشون على صناعة النسخ فى ذلك الزمان غير أن ملوك فرنسا فى أواخر القرن الخامس

Grant, A.J. A History of Europe P. 468. (1)

عشر لم يأخذوا بنظرية رجال الدين ولم يستمعوا إلى شكاوى الناسخين وأيدوا بسلطانهم فكرة المطبعة التى من شأنها أن تعاون على نشر ثقافة فرنسا ، ولولا تعضيد الملوك الفرنسيين لما استطاعت المطبعة أن تتمكن من النضج والاستواء فى تلك البلاد .

وقد انتقلت موجة الايمان بالمطبعة من فرنسا إلى أسبانيا ثم إلى انجلترا ولقى أنصارها فى البلدين نفس مالقى أنصارها فى فرنسا من العنت والضيق وإن كان أنصارها فى البلدين قلة بالقياس إلى أنصارها من الفرنسيين ولكنها كأى شىء مفيد بهرت أنصارها وخصومها على السواء وتمكنت من انجلترا خاصة وأصبحت شيئا لا يُستغنى عنه عند رجال الفكر ؛ وظهر أول مطبوع فى انجلترا فى سنة ١٤٧٧ م . ولم يبق فى أوربا من البلاد بلد لم يعرف المطبعة خلال القرن الخامس عشر إلا روسيا فإنها كانت آخر البلاد الأوربية معرفة بهذه الصناعة وكان ذلك فى النصف الثانى من القرن السادس عشر .

وقد استغلت المطبعة فى جميع البلاد الأوربية أول ما استغلت فى نشر الكتب والتعاليم الدينية واستمرت فترة طويلة تؤدى عملها لخدمة الدين فقط وإن استغلها ناشرو الأخبار المطبوعة فى رواية الأحداث التى كانت تشغل أوربا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر فكان ناشرو الأخبار المطبوعة يذيعون عن طريق المطبعة أفكارهم الثورية سواء فى الأمور السياسية أو فى الخلاف الدينى الذى كان قائماً بين البابوية وأنصار الاصلاح من أعوان مارتن لوثر ثم استغلت أيضا فى نشر الكراسات التجارية وما إلى ذلك من الأشياء التى كانت تحتاج إليها بيوت التجارة المختلفة .

وأخذ فن المطبعة يتقدم والتفكير فى استغلاله يعمق فى نفوس الناس فإذا بنا نرى كتب الانجيل والتوراة تطبع باللغة العربية فى إيطاليا خاصة بل أنشئت لهذه المطبوعات العربية مطابع خاصة فى البندقية وفى باريس ثم اهتم أهل الصناعة من المتدينين باللغة العربية فوضعوا لها حروفا وطبعوا بها كتبا فى مدن إيطاليا وكانت هذه الكتب العربية تتجه إلى نشر المسائل الدينية وكانت مدن إيطالية وفى مقدمتها البندقية وجنوة أكثر مدن العالم الأوربى عناية بنشر الكتب الدينية باللغة العربية حتى توجت نشاطها بطبع القرآن الكريم باللغة العربية حوالى سنة ١٥٣٠ م وإن كان هذا الكتاب المقدس عند المسلمين أثار لغطا فى بيئات المسيحيين المتعصبين حتى أجيز حرقه خوفا على عقائد أهل المسيحية فى ذلك الزمان .

وقد أخذ الطابعون يتفننون فى صناعة الأحرف الشرقية ويزودون بها المطابع الأوربية وكانت حروف اللغة العربية فى مقدمة الحروف التى عنيت بها مطابع أوربا وخاصة مطابع المدن الإيطالية ولكن معظم إن لم تكن كل المطبوعات التى نشرت باللغة العربية كانت كتبا فى الديانة المسيحية ثم خف التزمت الدينى بعض الشىء فاتجه الناشرون إلى طبع بعض الكتب العربية الأدبية وقد تضمنت هذه الكتب العربية كثيرا من الرسوم والصور البديعة التى لا تزال عنوانا طيبا لذلك العصر . وأخذت حروف اللغة العربية على مر الزمن تتحسن وتتقدم وأخذت المطابع ينافس بعضها بعضا حتى امتاز القرن السادس عشر بالحروف العربية البديعة واشتهرت مطابع أوربية نظرا لعنايتها بالمطبعة العربية كمطبعة ليدن المعروفة بهولندا ولا ينسى أهل العربية فضل هذه المطبعة بما قدمت للمكتبة العربية من موضوعات مختلفة أغنت هذه اللغة وعاونت على تقدمها فى مستقبل الأيام .

وقد شغلت المطابع العربية فى أوربا بنشر الموضوعات الدينية فى أول الأمر فاستغرقتهامدى قرن تقريباإلا أنها ـ أى المطابع ـ أخذت تعنى بالآثار الأدبية والعلمية العربية ونافست فى ذلك بعضها بعضا وبدا هذا التنافس واضحا فى خلال القرن السابع عشر حتى غلبت المطبوعات العربية العلمية غيرها من الموضوعات ونُشرت عشرات من الكتب العلمية والأدبية فى مطابع ليدن وباريس ولندرة وأكسفورد وغيرها .

وإذا كانت الروسيا قد عرفت المطبعة بعد اختراعها بقرن من الزمان فإن الشرق عرف المطبعة قبلها بزمن بعيدإذ يسجل التاريخ أنه فى خلال القرن الخامس عشر أنشئت فىمدينة (الآستانه) مطبعة عبرية قام على إنشائها أحد اليهود وأخذت على عاتقها أول الأمر نشر الكتب والتعاليم اليهودية وقد بقيت مطبعة ذلك اليهودى عدة قرون تنشر كتبا فى معظمها دينية وقد كان نشاطها ملحوظا بالقياس إلىمثيلاتها الأوربيات[١] وسار علىهذا الدرب يهودى آخر فى مدينة(سالونيك) وكان لها نشاط محدود إذا قيس بنشاط المطبعة اليهودية بالآستانة .

ثم أخذت المطبعة تعرف طريقها إلى الشرق العربى وكانت أول بقعة عرفتها فى الشرق العربى(ديرقزحيا) من أعمال الشام وفى هذهالمطبعة نشرت بعض الكتب بحروف عربية وسريانية وتميزت هذه المطبعة بأن العاملين فيها كانوا ذواقين يرون الطباعة فنا بجانب أنها صناعة فكانت كتبهم مزخرفة أو ملونة وكانت نشأتها فى أوائل القرن السابع عشر [٢] وهكذا بدأت المطابع تنتشر فى مدن الشرق العربى

---

(١) راجع مجلة المشرق السنة الثالثة عدد رقم ٤ ص ١٧٥ وما بعدها .

(٢) راجع مجلة المشرق العام الثالث العدد رقم ٦ ص ٢٥٤ وما بعدها .

وفى مقدمتها مدن الشام المختلفة ، وقد احتفظت مدينة حلب بالسبق فى إيجاد مطبعة عربية فى أوائل القرن الثامن عشر ، وقد قام على إنشائها أحد البطارقة وزودها بما تحتاج إليه من حروف من مدينة بخارست ، وقد اتجهت هذه المطبعة فى نشر مطبوعاتها اتجاها دينيا فكان الإنجيل والتعاليم المسيحية أول ماعنيت به ولعله آخر ماعنيت به لأن التاريخ لايحفظ لها آثاراً أكثر من عنايتها بالمطبوعات الدينية .

وقد قلدت عاصمة السلطان مدينة حلب فأنشئت بعدمطبعة حلب مطبعة عربية ، ومما يدعو إلى الدهشة أن تسبق مدينة فى الدولة العثمانية عاصمة العثمانية نفسها فى إنشاء المطابع ، وكان المفروض أن يتلقى الشرق العربى والولايات الأخرى هذا الفن عن عاصمة السلطنة نفسها .

ويذكر التاريخ أن محاولة بذلت منذ قديم كى يكون للآستانة شرف السبق فى تقدير هذه الصناعة والنهوض بها ونقلها إلى ولايات الدولة شرقاً وجنوبا . غير أن هذه المحاولة قد فشلت لأن رجال الدين العثمانيين أبوا على هذا الفن أن يأخذ مكانه فى عاصمة السلطان واعتبروا أن كل من يحاول هذه المحاولة إنما يؤاخى الشيطان فيما يذهب إليه ويسىء إلى دينه ، وقد بقى هذا التزمت قائماً فى عقول رجال الدين فترة طويلة من الزمان حتى عاد شاب تركى مثقف من فرنسا وأخذ ينشر ماعرفه عن فن الطباعة فى باريس وعن المزايا التى ينتظر الحصول عليها إذ أجيز لهذه الصناعة أن تقوم ، ولقيت الدعاية التى قام بها مكانة من نفوس بعض المشتغلين بالعلوم والفنون . واستطاع أن ينال تعضيد الصدر الأعظم فى ذلك الوقت وكتب إليه يرجوه أن يأذن له بنشر كتب فى التاريخ واللغة

والطب وسائر الفنون وأجاز السلطان طلب هذا الشاب وكان يسمى سعيداً أفندى حين أيده علماء الدين وأقروا بأن المطبعة ليست رجساً من عمل الشيطان ، ولكنه حال بين سعيد وبين نشر كتب التفسير والكلام والفقه والحديث ، وكان ذلك سنة ١٧٢٨ ، وقد قامت هذه المطبعة بطبع كثير من الكتب الطبية والخرائط المصورة باللغات العربية والفرنسية والتركية ، وإن أصابها كثير من التعطيل[١]

وتنافس بعد ذلك كثير من الأديرة فى لبنان على إنشاء المطابع العربية فى النصف الأول من القرن الثامن عشر: من ذلك مطبعة الشوير التى قام بأنشائها والإشراف عليها فى إحدى الروايات واحد من الآباء اليسوعيين ونقل إليها الحروف من روما ووظف فى خدمتها كثيرا من العمال البارعين . وتعتبر مطبعة الشوير ثالث مطابع الشرق العربى ، وكانت معظم مطبوعاتها كتباً دينية مما يؤيد رأى القائلين بأن منشئها والمشرف عليها كان واحداً من رجال الدين[٢] .

ويجدر بنا أن نذكر أن التنافس الدينى بين الأرثوذكس والكاثوليك كان الدافع الأول على إنشاء المطابع فى الشرق العربى ، ومن ذلك المطبعة التى أنشأها الأرثوذكس فى بيروت فى منتصف القرن الثامن عشر وقلدوا فيها حروف مطبعة الكاثوليك فى الشوير ، وكانت كل مطبوعاتها تقريبا من الكتب الدينية التى تعنى مذهب الأرثوذكس . وقد أصاب هذه المطبعة كثير من الاضطراب وهى آخر مطبعة فى الشرق العربى تسبق المطابع التى عرفتها مصر .

(١) Hammer .Purgstall. Htstoire de L'Empire Ottoman T. 14. PP. 197, 493 - 507

(٢) راجع فى ذلك

(1) De La Roque.Voyage au Liban et Syrie.

(2) De Volney. Vogaye au Syrie et L'Eygpte . VII P.P.77-85

(٣) مجلة المشرق العام الثالث العدد الثامن ص ٣٦٠

مطابع الحملة الفرنسية

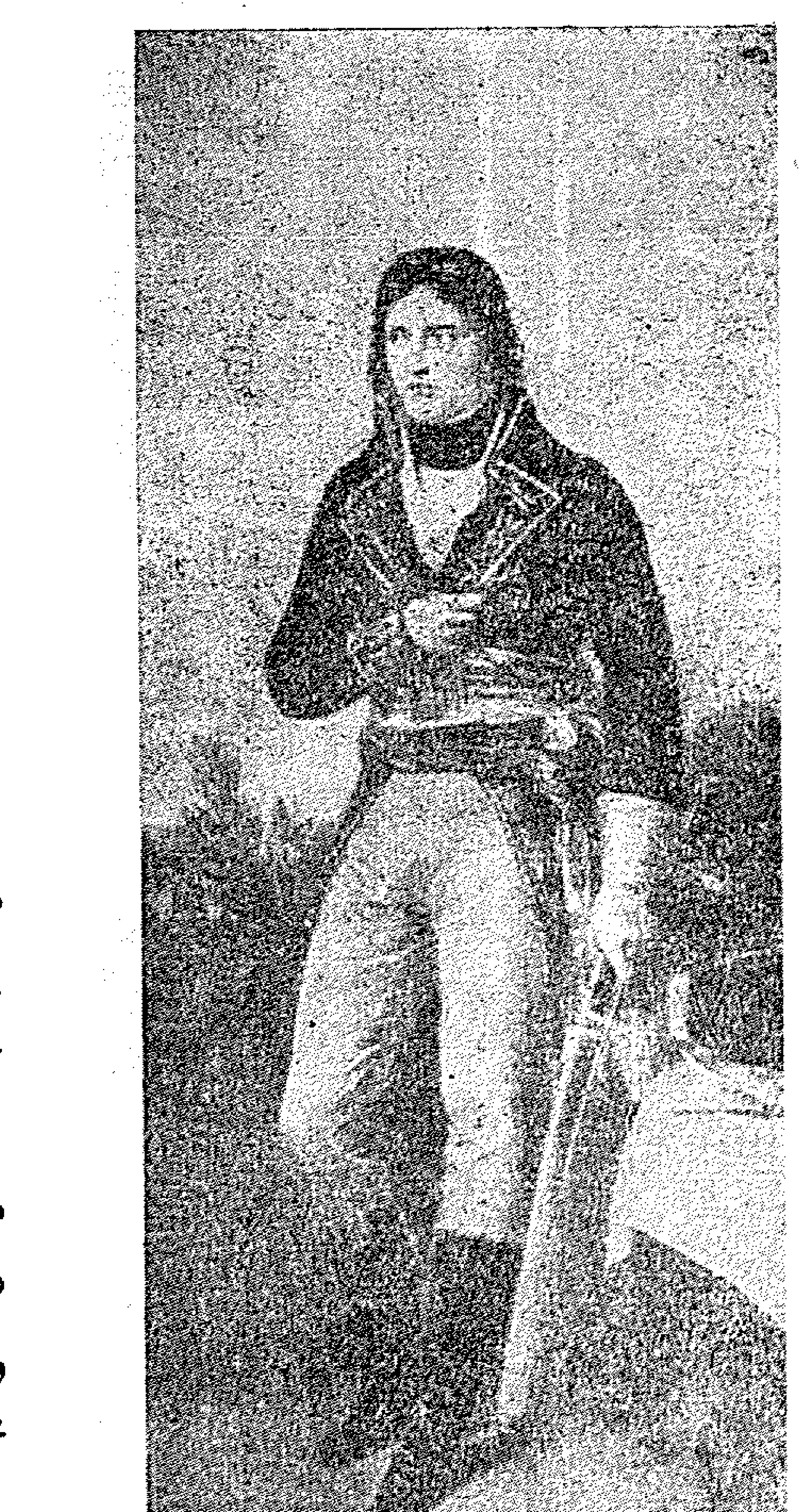
لم ير بونابرت أن يفتح للفرنسيين مصر والشرق بالحديد والنار وأن يكون قوام حملته جنوداً وقواداً فحسب ، بل اصطحب معه العلماء فى كل علم والأدباء فى كل فن ولم تخل جعبته من الشعراء والموسيقيين والممثلين ، وكان حريصاً على أن تكون آثار حملته علمية يدرس فيها الشرق الذى لايعرف عنه الغربيون شيئاً كثيراً ، ويتعرف على تلك الشعوب التى طالما سمع بها . فلم يكن بد من أن ينظم دعايته تنظيما خاصاً يتيح له الاتصال بالناس والتحبب إليهم ، فأعد لذلك مطابع فرنجية وعربية تعاونه فى تسجيل حوادث الحملة ودراستها كما تقدمه إلى المصريين وتعلن عليهم أغراضه ونواياه .

وكانت حكومة الأدارة قد هيأت للحملة كل ما طلبت من مهندسين وآلات وعلماء ومستشرقين وأصدرت أمراً لوزير الداخلية بتنفيذ كل مايحتاج إليه بونابرت فى ٢٦ Ventôse سنة ٦ جمهورية (١٦ مارس ١٧٩٨) غير أن بونابرت لم يكن مستريحاً إلى الأجراءات البطيئة فى التنفيذ ، فكتب يشكو إلى وزير الداخلية مدير المطبعة الجمهورية والمستشرق لانجليس Langlés [1] اللذين « أظهرا أقبح النوايا » وطلب إلى الوزير أن يصدر « الأمر القاطع بأن تشحن

---

(١) كان لانجليس رجلاهادىء الطبع لايحب المغامرات وكان مستشرقا ساهم فى إنشاء مدرسة اللغات الشرقيـة وله تراجم ومؤلفات قيمة ، وكان بونابرت يعرف له إلمامه التام باللغات الشرقية فختاره كبيراً لتراجمة الحملة فلما تمنع عاقبه باهماله واختيار غيره .

إلى الميدان جميع الحروف العربية الموجودة خلاف القوالب ، وأن يؤمر المواطن لانجليس بمرافقتها ، وقد ضايقه اعتذار لانجليس عن السفر ، فاذا كان فى استطاعة



الجنرال بونابرت

ننشر إلى اليمين صورة الجنرال بونابرت وهى أقرب الصور له وهو فى مصر ، ولم يكن قد بلغ الثلاثين من عمره . ولا يمكن أن يؤرخ لحياة الصحافة فى مصر دون ذكر اسم هذا القائد الذى وضع السطر الأول فى هذا التاريخ المصرى العظيم كذلك نرى لزاماً علينا أن نذكر لصاحب الصورة أنه أول من وضع الأساس لتاريخ المطبعة فى مصر وجعل خاصة المصريين على بينة من أمرها حتى إذا استوت الأمور لهم فى عهد محمد على كان استقبال مطبعة بولاق استقبالا مقروناً بالتقدير من جميع الناس

إنه وضع تاريخ المطبعة والصحيفه فى مصر ولكن ليس معنى هذا أننا نعتبر ذلك عملا مصرياً ، فأن المطبعة المصرية والصحيفة الوطنية لم تعرف إلا فى عهد محمد على الكبير

هذا المستشرق أن يبدى للمسئولين معاذيره فأن للوطن عليه حقاً ، وبما أن الجمهورية علمته وراعته من زمن بعيد فلها عليه حق إطاعتها ، كما أنى أرجو أن تصدروا أمركم بأن

تعبأ أيضاً الحروف اليونانية التى يطبع بها الآن Xénophon وليس هناك ضرر كثير من تعطيل طبع اكسونوفون شهوراً ثلاثة إلى أن تعد له حروف جديدة . كما أرجو أن تأمروا أيضاً بتعبئة حروف تكفى ثلاث مطابع فرنسية . . . » (١)



العالم مونج رئيس المجمع العلمى المصرى

ولم تكن المطبعة العربية وحدها كما رأينا بل كانت جزءاً من مؤسسة كبيرة تحتوى على مطابع فرنسية وعربية ويونانية ، بيد أن اعتماده على المطبعة العربية جاوز اعتماده على المطابع الأخرى نظراً لما كان يرجوه منها فى سياسته المرسومة إزاء المصريين ، وكان حرصه عليها كحرصه على علمائه فى نجاح الحملة من الناحية العلمية ، فهو شديد الرغبة فى أن يصحبه إلى مصر العالم مونج Monge لواسع شهرته

---

(١) وثيقة رقم ٢٤٥٢ ص ٢٤ ج ٤

Correspondance de Napoléon Ier

وباعه الطويل فى الرياضيات ، فلما كتب إليه القائد العام ليوافيه استعداداً للرحيل ـ وكان رئيس المجمع العلمى المصرى فيما بعد فى روما بصحبة الجنرال Désaix — اعتذر مونج قائلا «دعنى بين الناس أعجب لهمتك وأقدر خدماتك وأغنى نصرك »[1] فكتب إليه بونابرت فى ٤ أبريل سنة ١٧٩٨ موضحا له مكانته فى الحملة ، تلك المكانة التى تعادل فى القدر والمسئولية المطبعة العربية « إنى اعتمد على المطبعة العربية فى الدعاية وعليك . فهل أصعد بالأسطول فى التيبر لأصحبك ؟ »[2]

فأذا كان للناحية المدنية فى الحملة شأن كبير فمن أخطر ما فيها المطبعة العربية التى بلغت مكانتها قدر مونج رأس علمائه فى مصر ، وكان بونابرت معنيا بأمرها عارفا أهميتها حتى أنه عاد فكتب إلى مونج بعد كتابه الأول بأيام ثلاثة يذكره بأمرها « إنى أوصيك خاصة بالمطبعة العربية للدعاية »[3] ولم يكتف القائد العام بما أمدته الحكومة من مطابع وحروف سواء من باريس أو روما بل أصدر أمرا إلى كافاريللى Caffarelli [4] فى ٢١ فلوريال سنة ٦ جمهورية لشراء ملحقات لمطابع الحملة كلفته ١٠،١٦١ فرنكا[5]

---

(١) Driault (Edward) Napoléon Le Grand T. 1. P. 175

(٢) وثيقة رقم ٢٤٧١ ص ٣٩ ج ٤
Correspondance de Napoléon Ier

(٣) وثيقة رقم ٢٤٧٩ ص ٤٣ ج ٤
Correspondance de Napoléon Ier

(٤) كان كافاريللى من سلالة أسرة فرنسية نبيلة عرف المواقع الحربية مع كليبر فى خلال الحملة الايطالية وفقد أحدى ساقيه فى موقعة حربية على الراين وقد سجن أربعة عشر شهراً فى عهد الارهاب ثم عين عضوا فى المجمع العلمى المصرى فى حملة بونابرت ، وقد حاز رضاء القائد العام فأناط به الأشراف على الادوات والكتب التى كانت الحملة فى حاجة اليها قبيل ابحارها من مارسيليا راجع Canivet «l'Expédition d'Egypte » Rev. Int. d'Egypte 1906 P. 9.

(٥) Canivet ; Bull.de l'Inst. Egyp . 1909 P.3

اهتم الجنرال بونابرت بالمطابع التى صحبهـــا معه فى الحملة المصرية كما راعى فى اختيارها أن تـكون مستعدة للقيام بعملها على وجه يحقق رغباته، وخاصة المطبعة العربية التى أثبتت الوثائق مدى اعتماده عليها فى الدعاية . وقد انقسمت مطابع الحملة إلى قسمين ، أحدهما فرنجى والآخر شرقى يجمعها فى البحر اسم « مطبعة الجيش البحرى » فأذا استقرت المطابع فى الاسكندرية أطلق عليها « المطبعة الشرقية والفرنسية »[١] وفى القاهرة فيما بعد سميت باسم « المطبعة الأهلية »

وقد قام على خدمة المطابع الفرنجية كثير من المصححين والطابعين ذكرهم (بورين) فى مذكراته بأنهم سبعة عشر عضوا [٢] وذكر (كانيڤيه) أنهم اثنان وعشرون دون أن يحتسب فيهم المدير [٣] واعتبرهم (شارل رو) ثلاثة وعشرين عضوا مع احتساب (مارسيل) مدير المطبعة [٤] وظاهر أن كليهما أصدق من بورين لعنايتهما فى البحث ولأن بورين اعتمد فى مذكراته كما يلوح لنا على الذاكرة أحيانا ، على أن الستة الذين أسقطهم من حسابه سكرتير نابليون لم يكونوا بذى بال فى إدارة المطبعة ، ونحن نذكر هنا أسماء هؤلاء الموظفين ومراتبهم فيها :— [٥]

(١) مارسيل — مدير المطبعة الرسمية

(٢) بودوان — مساعد مدير المطبعة

(٣) بسون — مصحح ومدير مطبعة الاسكندرية فيما بعد

(٤) جالان — »

(٥) بنقيـــه — »

---

(١) Charles-Roux « Bonaparte Gouverneur d'Egypte » Paris 1936 P.139

(٢) ص ٣٨٣ ج ٢ باريس ١٨٢٨ Mémoires de M. De Bourrienne

(٣) Bull. de L'Inst. Egypt. 1909 P. 5

(٤) Charles - Roux P. 139

(٥) Canivet. Bull. de l'Inst. 1909 P. 4

عمـــال المطبعة

(١) ديزيران	(٢) لوجييه	(٣) ابرهار
(٤) لافورى	(٥) كوزى	(٦) بارييه
(٧) ماركوى	(٨) بولانجيه	(٩) بوانسيلو
(١٠) بوييه	(١١) جاردان	(١٢) فيرى
(١٣) ديبواه	(١٤) جرانسار	(١٥) مارليه
(١٦) ليتيون	(١٧) كاستوراه	(١٨) لابورت

وكان هـــذا العامل الأخير طالبا بمدرسة اللغات الشرقية وتوفى فى مصر سنة ١٧٩٩ .

أما المطبعة الشرقية فقد صدر أمر القائد العام فى ٢٨ جرمينال Germinal سنة ٦ جمهورية بأن يكون موظفوها على الوجه الآتى :—

موظفو المطبعة الشرقية

الاسم	الوظيفـــة	المرتب الشهرى
(١) دون اليافاتالا	مترجم	٣٢٤ فرنكا
(٢) يوسف ميرابكى	من دمشق	١٣٥ »
(٣) جيوفانى جيورجى	استغنى عنه	
(٤) جيوفانى رينو		١٠٨ »
(٥) كاميللو ريجا	صفاف حروف	١٠٨ »

الاسم	الوظيفة	المرتب الشهرى
(٦) نيكولا روسللى	صفاف حروف	١٠٨ »
(٧) فرنسسكوماكجنى	» »	١٠٨ »
(٨) جيسب دودو مينيسيس	ناشر	١٠٨ »
(٩) لويجى بلليجرينى	»	١٠٨ »
(١٠) فيليس انسجليونى	»	١٠٨ »

وقد بلغت مرتبات موظفى المطبعة الشرقية فى الشهر ١٢١٥ فرنكا ، وكان أهم موظفيها دون اليافاتالا Don Elia Fatalla ، وهو من ديار بكر وكانت مرتبته فى هذه المطبعة تعادل مرتبة مارسيل فى المطبعة الفرنجية ، وكان يشــــغل قبيل الحملة وظيفة مترجم فى مطبعة الدعاية العربية [١]

يوحنا يوسف مارسيل Jean Joseph Marcel

وقد تميزت المطبعة الرسمية بأدارة يوحنا يوسف مارسيل الذى كان من أظهر رجال الحملة استشراقا فقد كانت نشأته وميوله تفرضان عليه هذا الاتجاه الملحوظ فى حياته جميعا فقد، ولد مارسيل بباريس فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٧٧٦ من أب كان قد شغل فى يوم ما وظيفة القنصل العام فى الشرق وهو كهل قد بلغ حين رزق بمارسيل الرابعة والستين من عمره ، ولم يعمر طويلا بعد مولده ، فقامت أمه برعايته ومهدت له طريق التعليم فى جامعة باريس ، فدرس فيها الرياضة والعلوم خاصة [٢] ويمتاز المترجم فى حياته الجامعية بنشاط علمى أتاح له مجال الظهور على أقرانه ، فمنح كثيرا من المكافآت المدرسية جزاء جده ونشاطه ، وقد عقد علاقات طيبة بينه وبين

---

(1) Charles - Roux. Bonaqarte Gouv. d' Egyp 139

(2) Canivet : Bull. de l'Inst. Egyp. 1909 P 6



« مارسيل » مدير المطبعة الرسمية

أساتذته فى الجامعة كانت الوسيلة إليها استعداده ومواهبه، ومن بين هؤلاء الأساتذة الأستاذ جرونيه Grenet وهو من الأساتذة الجامعيين المعروفين بكفاءتهم فى العلوم الجغرافية والمحببين إلى القصر إذ ذاك .

بدأ مارسيل حياته العملية فالتحق بأحدى المصالح لما أجاز دراسته التعليمية ولم يكن قد تجاوز بعد السابعة عشر من عمره، ثم اختير فى هذه السن المبكرة رئيسا لتحرير صحيفة مدارس المعلمين Journal Des Ecoles Normales وكان من أهم وظائفه فيها أن يلخص ما يلقيه الأساتذة ويفسره تفسيرا يلائم الطلاب ويساعدهم على الفهم، ثم تتلمذ على برتوليه وفولنى Volney ولابلاس Laplace وكانوا من أظهر أساتذة مدرسة اللغات الشرقية ، ونازعت نفسه تقاليد الأسرة القديمة فاشتغل بدراسة التاريخ ، ومضى ينقل محاضرات الأساتذة ويرتبها حتى جمع منها ثمانية مجلدات ضخمة فى هذه المادة [١] وقد ارتبط فى مدرسة اللغات الشرقية بعلاقات من الود والتقدير مع الأساتذة لانجليس Langlés وسلفستر دوساسى Silvestre de Sacy وفانتير دوبارادى Venture de Paradis وخاصة الأخير منهم فإنه كان شديد العطف عليه حتى إنه أوصى به ليكون عضوا فى لجنة العلوم والفنون، ثم كان لمعرفته اللغة العربية دخل كبير فى اختياره مديرا لمطبعة الحملة، غير أن نشاطه بعد انتخابه عضوا فى لجنة الفنون والعلوم كان مقصورا فى أكثره على اللجنة دون المطبعة .

أدى نشاط مارسيل فى صحيفة مدارس المعلمين إلى اختياره محرراً لجريدة « الأخبار العامة Journal des Nouvelles Pupliques » وكان فيها صحفياً بارعاً

---

(١) ص ٥٤٤ Belin (M.) Journal Asiatique 5é Série T III 1854

بيد أن الجريدة لم تعمر طويلا إذ صادرتها الحكومة وهرب أصحابها خوفا من القبض عليهم [١] ولم يكن مارسيل صحفيا من الناحية النظرية فحسب بل كان على خبرة تامة بأصول الصحافة العملية وتفاصيل الطباعة وان لم يكن من محترفى هذه الصناعة الأخيرة ، فهو وحده الذى قام فى البحر بطبع المنشور الذى وزع على سكان مصر باللغة العربية [٢] ، كذلك طبع وهو على الباخرة (الشرق) باللغة الفرنسية بعض المنشورات التى وزعت على جنود الحملة قبيل وصولها إلى الشواطىء المصرية بأيام ثلاثة [٣] لذلك كانت معرفته باللغة العربية وشئون الشرق وتاريخه ودراسته العميقة لصناعة الطبع والنشر فى فرنسا ومصر مؤهلا لاختياره مديرا للمطبعة الجمهورية التى غدت فيما بعد المطبعة الامبراطورية [٤]

عين مارسيل بعد عودته إلى فرنسا مديرا للمطبعة الجمهورية سنة ١٨٠٤ وبقى يديرها إلى سنة ١٨١٥ بعد أن تغير اسمها وأصبحت المطبعة الأمبراطورية وفى خلال تلك الفترة منحه نابليون وسام (الليجيون دونور) ، وقد أحدث وجوده فى إدارة هذه المطبعة نشاطا غير معهود فأعاد تاسيسها وتنظيمها ، وأمدها بالحروف لسبع عشرة لغة أجنبية ، وجدد آلات الطباعة فيها وأضاف إليها خمسين مطبعة جديدة ، وقد بلغ النظام والدقة فيها درجة كبيرة دعت البابا بيوس السابع إلى زيارتها ، فأذا دخلها البابا بدأ العمال فى طبع كتاب من مائة وخمسين صفحة ،

---

(١) ص ٧ Canivet : Bull, de l Inst, Egyp. 1909

(٢) ص ٥٥٥ Belin. J. Asiatique

(٣) ص ٧ Canivet : Bull. de l'Inst. 1909

(٤) ص ٦٠٠ ج ٢ Dupont (Paul) Histoire de l'Imprimerie Paris 1854

حتى إذا أتم الحبر الكبير الزيارة وأشرف على مغادرة المطبعة أهدى إليه الكتاب الذى شاهد منه أول صفحة تطبع عند مقدمه (١)

ولمارسيل تاريخ علمى مجيد سواء فى مصر أو فى فرنسا فله كتب شتى أكثرها عن تاريخ مصر والشرق إذ اشترك فى كتاب وصف مصر - Description de l'Egypte - ، ونشر وصفا لجامع ابن طولون ، وله كذلك وصف تاريخى لمقياس الروضة ورسالة عن المارستان الكبير بالقاهرة ويسميه الناصرى نسبة إلى الملك الناصر محمد قلاوون ، ومارسيل أحد مؤلفى كتاب التاريخ العلمى والحربى للحملة الفرنسية .

Histcire Sientifique et Militaire de l'Expédition Française en Egypte فى عشرة مجلدات ساعده فى اخراجه M,Louis Reybaud ، وله أبحاث مستفيضة عن الآثار العربية فى مصر وما عليها من خطوط كوفية منشورة فى الجزء الخامس عشر من كتاب « وصف مصر » ونشر للشيخ المهدى قصصا غريباً فى سنة ١٨٣٢ ولم يقتصر نشاط مارسيل على المسائل المصرية وتاريخها بل نشر مصنفا عن المحادثات المغربية وترجمتها باللغة الفرنسية سنة ١٨٣٠ وهى التعبيرات المغربية العامية لتونس ومراكش نفذت طبعته بعد شهرين من صدوره ، كذلك ألف كتابا فى « تاريخ تونس » وله غير ذلك كثير من الموضوعات القصيرة فى المسائل المصرية والشرقية مما يصعب حصرها هنا وقد كان لمارسيل مكتبة فخمة بلغ عدد كتبها أكثر من خمسة عشر ألف كتاب من بينها مخطوطات عربية نادرة ، وكان يعتبر فى

---

(١) ص ٥٥٧ — ٥٥٨ Belin .J. Asiatique

فرنسا فى القرن التاسع عشر إماما للمستشرقين فى أوروبا وهو أحد المؤسسين للجمعية الآسيوية بباريس [١]

ويمتاز مارسيل فى مصر بأنه كان مديراً لعدة مطابع [٢] فقد رأينا فيما تقدم ذكرا للمطابع الفرنسية الثلاث ، والمطبعة اليونانية أما اللغة العربية فكانت لها مطبعتان جاء ذكرهما فى الخطاب الذى ارسله بونابرت من القاهرة إلى كايبر فى الاسكندرية فى ٢٦ اغسطس سنة ١٧٩٨ يقول فيه « من أهم الأشياء التى نحن فى أشد الحاجة اليها إحدى المطبعتين العربيتين » [٣]

وتعتبر هذه المطابع كلها مطبعة واحدة تحت رئاسة مارسيل يعاونه بضعة موظفين إخصائيين كان من أهمهم انطوان جالان Antoine Galland . ووظيفته الأولى مصحح فى دار الطباعة الفرنجية وله كتاب عن «صورة لمصر خلال إقامة الجيش الفرنسى»
« Tableau de l'Egypte pendant le séjour de l'armée française »
من جزأين وليس لهذا الكتاب قيمة تاريخية تميزه فقد امتلأ باللغو والادعاء وخاصة حين يتصل الحديث بمؤلفه، فقد منح نفسه كثيراً من الوظائف التى لم يؤدها ولم يكلف بها قط خلال الحملة الفرنسية فى مصر ، بل كانت صفته الرسمية مصححا للمطبوعات الفرنسية وان شغل جزءا من وقته ناشرا لبعض الشعر فى جريدة لوكوربيه دوجبت ، كما أنه حاول أن يذيع قطعة أدبية فى مجلة لاديكاد غير أنها رفضت ، وزعم أن اهمالها لا يرجع إلى ضعفها بل إلى الحوادث الحربية التى كانت قائمة فى ذلك الوقت [٤]

---

(١) ص ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ Belin . J , Asiatiquc

(٢) ص ٥٥٥ Belin J . Asiatique

(٣) وثيقة رقم ٢١١٣ ص ٤٠٢ ج ٤ Corres. de N. 1 er

(٤) ص ٦ ، ٧ Canivet. Bull. de l'Inst. 1909

مارك أوريل Joseph-Emmanuel Marc Aurel

وضمت الحملة إلى مطابعها الرسمية مطبعة أخرى لمواطن حر ليس ملحقاً بحملة مصر هو جوزيف عما نويل مارك أوريل ، وقد حير أوريل كثيرين من الفرنسيين الذين بحثوا شؤون الصحافة فى عهد الحملة حتى ظنه بعضهم مارسيل نفسه وأنه اتخذ اسم مارك أوريل تيمنا بالتاريخ الرومانى الذى تأثرت به الثورة الفرنسية والذى يحفظ بين ذكرياته اسم الامبراطور الرومانى Marc Aurel ومبعث هذا الاضطراب الذى شغل المؤرخين منهم مرجعه أن تاريخ الحملة الفرنسية فى مصر عنى بكل صغيرة من التفاصيل وذكر كثيراً من الأسماء المتواضعة التى لا يؤثر اهمالها فى مجريات الحوادث بينما أسقط اسم مارك أوريل على ماله من أهمية فى الطباعة أثناء الحملة فى مصر .

ولد هذا الناشر فى فالنس Valence فى سنة ١٧٧٥ وهو ابن بيير مارك أوريل ممن احترفوا الطباعة والنشر فى تلك المدينة ، وكانت تربطه ببونابرت صداقة وطيدة مصدرها اختلاف بونابرت إلى مكتبته أثناء إقامته بفالنس بين سنتى ١٧٨٥و١٧٨٦ وقضائه فترة أخرى ضيفا على صاحبه فى سنة ١٧٩١ ، وكان بيير رجلا له شهرة ثقافية وذوق ممتاز فى فهم المسائل الأدبية . وفى سنة ١٧٩٣ أسس مارك أوريل الوالد جريدة « الحقيقة للشعب La Verité au peuple » تناصر اليعاقبة وتنادى بمبادئهم[١] وهى أول جريدة عرفتها مقاطعة الدروم Drôme

نشأ أوريل الابن هذه النشأة الصحفية ، ووصله أبوه بشؤون الطباعة والنشر

---

(١) ص ٩١٦ جـ ٥ Nouveau Larousse Illustré

حتى تهيأت له الظروف فعين فى حصار طولون سنة ١٧٩٣ ناشرا للجيش ولم يتجاوز بعد الثامنة عشر من عمره، وفى السنة التالية ألحق بمطبعة الجيش البحرى فى البحر الأبيض المتوسط واتخذ مكانه على الباخرة Sans-Culotte وقد استهوته الحملة المصرية فمضى معها ناشرا لها ، وفى القاهرة أسس أول مطبعة فى مصر [١] بينما لم يكن له أى نشاط يذكر فى مدينة الاسكندرية ذلك أن مطبعته كانت فى صناديقها معدة للسير مع الحملة فى طريقها إلى العاصمة ، وقد نقلها صاحبها مع الجيش عن طريق الصحراء ، فلما استقر الفرنسيون فى القاهرة بدأ مارك أوريل عمله بأن نشر أمراً رسمياً فى ١٥ أغسطس سنة ١٧٩٨ بينما بقيت المطبعة الرسمية فى الاسكندرية ، وأخذت مطبعة مارك تطبع أوامر بونابرت ومنشوراته باللغة الفرنسية ، وكانت القيادة ترسلها إلى الاسكندرية لتطبع باللغة العربية إذ أن مطبعة أوريل لم تكن بها حروف عربية على الاطلاق . وكان إلى طبعه أوامر بونابرت ومنشوراته يقوم بنشر جريدتى لوكوريبه دوليجبت Le Courier de lEgypte ولاديكاداچبسين La Décade Egyptienne وتعتبر هذه المطبعة المستقلة عن الحملة أول مطبعة شهدتها مدينة القاهرة إذ كان الأهالى يجهلون هذه الصناعة جهلا تاما فعرفوها فى أغسطس وسبقتهم الاسكندرية فى هذه المعرفة بشهر وأيام .

وقد قام مارك أوريل بطبع ما طلب منه بنفسه ، وشهد العلماء الذين صحبوا الحملة أمثال مونج وبرتوليه وفورييه أول مطبوع أخرجته مطبعته فالتفوا حول صناديق الحروف متلهفين ، حتى إذا ظهر المطبوع اختطفوه معجبين ، وقد اتخذ مارك أوريل لقب « طابع الحملة » وبقى معروفا بهذا اللقب حتى عودته إلى فالنس [٢]

---

(١) ص ١٣٨ — ١٤٠ Charles- Roux

(٢) ص ١٤٢ ، ١٤٣ Geiss. Bull, de l'Inst. 1907

وكان من دأبه أن يطبع اسمه واسم مطبعته على كل ما ينشره من أوامر ونداءات وصحف .

بقى المترجم أمينا على الوفاء لنابليون ، مخلصا للعهد الجديد الذى أصبح فيه القائد العام امبراطورا للفرنسيين فاختير ضمن مندوبى مقاطعة الدروم فى حفلات التتويج سنة ١٨٠٤ ، ثم أسس جريدة غير رسمية سماها Le Journal de laDrôme حيث مضى مناصراً للحكومة الامبراطورية إلى أن هوى حكم بونابرت وعادت الملكية القديمة لحرمته جميع المزايا التى كان يتمتع بها وأقفلت جريدته ، ثم أخذت الحوادث تتطور وتخلص الفرنسيون من حكم شارل العاشر ، وقامت فيهم حكومة أعدل وأقدر على فهم الثورة ومبادئها فاستطاع مارك أن يرشح نفسه لعضوية بلدية فالنس ثم تمكن بعدئذ من أن يكون نائباً للعمدة ؛ وفى سنة ١٨٣٢ أسس جريدة بقيت تصدر سنوات عدة بعد وفاته فى سنة إنشائها [١] .

* * *

أقلعت السفن تحمل الغزوة الفرنسية ، واقتضت سياسة الحملة العليا أن تنقل مطابعها الرسمية ورئيسها مارسيل على الباخرة الشرق التى تحمل الجنرال بونابرت قائد الحملة العام ، وقد بدأت مطبعة « الجيش البحرى » [٢] عملها فى الطريق فأذاعت منشور القائد على جنوده فى ١٠ مسيدور سنة ٦ جمهورية (٢٨ يونيو سنة ١٧٩٨) [٣] وأعدت المنشور العربى إلى سكان مصر الذى وزع عليهم عند

---

(١) من مذكرة مطبوعة فى أرشيف الدروم عن أسرة اوريل .
Geiss. Bull. de l'Inst. 1907 P. 142, 143

(٢) هى نفس المطبعة الشرقية والفرنسية التى سميت فيما بعد المطبعة الأهلية .

(٣) ص ١٠٤ ج ٤ ..... Keller. Corres. Bull. et Ordres

وصول الحملة إلى مدينة الأسكندرية فى ٢ يوليو [١]

وفى ٧ يوليو سنة ١٧٩٨ أمر بونابرت قبل سفره إلى القاهرة بأن يكلف أحد الضباط إنزال المطابع الفرنسية والعربية واليونانية من السفن وأن « توضع هذه المطابع فى منزل نائب قنصل البندقية Venice فى حالة تسمح فى بحر ثمان وأربعين ساعة بأن يكون فى الإمكان طبع كل مايرسل من مركز القيادة باللغتين الفرنسية ونصت المادة الثانية من هذا الأمر على طبع « اربعمائة نداء باللغة العربية » [٢] وبذلك تكون مطابع مارسيل قامت بواجبها يوم ٨ يوليو سنة ١٧٩٨ فى مدينة الأسكندرية وهى أول مطابع عرفتها هذه المدينة فى جميع العصور التى مرت بها .

رأى بونابرت أن مجهود مارك أوريل قاصر عن أن يحقق أغراضه فى اخراج الصحيفتين لوكوربيه ولاديكاد على وجه يرضيه ويرضى علماء الحملة فقد كانتا مملوءتين خطأ مطبعيا إذ أنه — أى مارك أوريل — « لايستطيع نشر لاديكاد فهو يطبعها طبعاً رديئاً » [٣] لذلك أرسل القائد العام فى طلب المطبعة التى يشرف عليها مارسيل فى الأسكندرية فقد كانت هناك تقوم بنشر أوامر الجنرال كليبر ، والأوامر التى تصدر من القيادة العامة فى القاهرة باللغة العربية . وصدر ذلك الأمر فى خلال كتاب أرسله الجنرال بونابرت إلى كليبر Kléber فى ٢٧ يوليو سنة ١٧٩٨ يطلب منه أن يرسل إلى القاهرة « مطابعنا العربية والفرنسية » [٤] ثم كتب فى اليوم نفسه إلى برتييه Berthier يرجوه أن يصدر أمره « بأن ترسل

---

(١) مراسلات نابليون وثيقة رقم ٢٧٢٣ ص ١٩١ جـ ٤

(٢) مراسلات نابليون وثيقة رقم ٢٧٨٤ ص ٢٢٨ جـ ٤

(٣) مراسلات نابليون وثيقة رقم ٣٦٧٢ « ١٦١ جـ ٥

(٤) مراسلات نابليون وثيقة رقم ٢٨٥٣ ص ٢٦٣ جـ ٤

حالا المطابع الفرنسية والعربية إلى القاهرة »[1] غير أن هذين الأمرين اللذين أصدرهما القائد العام لم ينفذا فوراً وبقيت المطابع معطلة فى الأسكندرية شهرا آخر فكتب بونابرت إلى الجنرال كليبر يذكر له « أن من الأشياء التى نحن فى أشد الحاجة إليها احدى المطبعتين العربيتين »[2] ومضى على هذا الكتاب شهران آخران حتى استطاع مارسيل وعماله والحروف الفرنسية والعربية واليونانية أن تصل إلى القاهرة عن طريق النيل فى أكتوبر ١٧٩٨ [3] دون أن تصل معدات المطابع كاملة بحيث يمكنها بدء العمل ، الأمر الذى أضطر بونابرت إلى أن يكتب للجنرال منو فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٧٩٨ يقول « انى أعلق أهمية كبرى على أن تؤدى المطابع الفرنسية والعربية عملها فى وقت قريب فأرجو أن تسلم المواطن جارو Garrau عشرين جملا فى الأسكندرية لتحمل من رشيد أربعين صندوقا لاتزال فى تلك المدينة [4] على أن المطبعة الرسمية لم تستطع تأدية وظيفتها إلا فى شهر يناير من سنة ١٧٩٩ وبقى جزء ضئيل منها فى الأسكندرية يقوم بطبع أوامر القيادة فيها ، واحتفظ لرئاسته بأحد العمال [5]

ولما استقرت المطبعة الأهلية فى القاهرة رأى مارك أوريل أنه سيبقى معطلا عن العمل فعرض على الحكومة أن يبيعها آلات مطبعته ، فوافق بونابرت على

---

(١) مراسلات نابليون وثيقة رقم ٢٨٦٤ ص٢٦٨ ج ٤

(٢) مراسلات نابليون وثيقة رقم ٣١١٣ « ٤٠٢ ج ٤

(٣) شارل رو . بونابرت حاكم مصر ص ١٤٤

(٤) مراسلات نابليون وثيقة ٣٦٦٩ ص ١٦٠ ج ٥

(٥) Annuaire de La République Française l'An 7 . Le Caire, An 8



الجنرال كليبر

شرائها وكلف ثلاثة بتثمينها أحدهم دجنت [1] على أن يراعى مارك رعاية خاصة لسابق معرفته به وبأسرته فأقرت اللجنة شراءها وقررت ٤٥٠٠فرنكا ثمنا لها [2] بيد أن إجراءات الصرف تعطلت فترة طويلة شغل خلالها القائد العام بأمور أهم كثيرا من رعاية خاطر أوريل الذى كان مشوقا إلى بلاده ، وقد اضطر الرجل إلى البقاء فى القاهرة وقتا غير قصير وهو يستأذن فى العودة ويتمنى على المسئولين منحه ثمن مطبعته وهو ثمن أقرته اللجنة وارتاح هو إليه وفى خلال فترة الانتظار عين الجنرال كليبر قائدا عاما للحملة بعد عودة بونابرت إلى فرنسا ، وحدث ما توقعه مارك فأن كليبر لم يرتح إلى الثمن المعروض لشراء مطبعته وأصدر أمرا آخر خاصا بتثمينها من جديد ، فتقرر تخفيض ثمنها إلى ثلاثة آلاف فرنك [3]

---

(١) Desgenettes, Souvenir d'un médecin de l'expédition d'Egypte, T 3 .P 17

(٢) ص ١٢ ج ٤ المصدر السابق

(٣) وثيقة رقم ٢١ ص ٢١ Kléber et Menou en Egypte

أدوات النشر وعمل المطابع

أصبحت المطبعة الأهلية فى القاهرة إبتداء من ١٤ يناير سنة ١٧٩٩ المطبعة الوحيدة فى خدمة الحملة الفرنسية . وقد أصدر بونابرت أمرا بتنظيم وتعيين المسئولين عن سياسة المطبوعات فيها [١] وكان هذا الأمر فى ٢٥ نيفوز سنة ٧ جمهورية (١٤ يناير سنة ١٧٩٩) وقد احتوى أمر التنظيم على ست مواد :—

المادة الأولى — يصب المواطن كونتيه فى أقصر وقت ممكن خمسة صناديق لحروف المطبعة العربية .

المادة الثانية — يضع الجنرال كافاريللى تحت أمر مدير المطبعة الأهلية خمسة من الصبيان يعرفون القراءة ليتعلموا حرفة صف الحروف .

المادة الثالثة — يهيء المواطن فانتير للمطبعة العربية خمسة عمال أتراك ويربط مرتباتهم .

المادة الرابعة — يدفع رئيس العمل جميع المصاريف التى قام بها مدير المطبعة .

المادة الخامسة — تكون إدارة المطبعة العربية خاضعة لتفتيش المواطن فانتير ولا يطبع شيء إلا بأمره وفى كل يوم يحيطه المدير علما بما سيطبع كما يعرض عليه الشكاوى التى تقدم فى حق العمال .

---

(١) ص ٢٠٦ ج ٤ Keller. Bull. et Ordres....

المادة السادسة — توضع إدارة المطبعـــة الفرنسية تحت التفتيش المباشر للمواطن فوفليه بورين ولا يطبع شيء إلا بأمره ، وفى كل يوم يحيطه مدير المطبعة علما بما سيطبع كما يحيطه علما بالشكاوى التى تقدم ضد العمال .



الجنرال كافاريللى

ذكرنا أوامر بونابرت لنبين إلى أى حد رسم لها طريق العمل فقد فرض عليها رقابة شديدة فى المادتين الخامسة والسادسة حتى لا تصدر عنها مطبوعات بغير علم القيـادة العامة أو تذيع ما من شأنه أن يمس النظام أو يسىء إلى الرأى العـــام الفرنسى أو المصرى لذلك كان هذا النظام الشديد أشبه ما يكون بما نعرفه اليوم من نظم المطبوعات فى حالات الحرب أو الثورات .

ويتبين لنـا من خلال سطور هذا الأمر أن مارسيل كانت وظيفته إدارية محضة لا صلة بينها وبين تقرير ما ينشر فى المطابع وأن مسئوليته الرسمية تنحصر فى الاشكال ، فى إخراج الصحيفتين ونشر الأوامر والقرارات دون أن يكون له حق الاضافة أو المحو والتغيير بل على مطابعه أن تخرج مطبوعاتها صحيحة خالية من الأخطاء فى ميعاد معلوم .

مراقبا المطبوعات

ويرجع اختيار بونابرت لفانتير Jean Michel de Venture de Paradis مراقبا على المطبعة العربية إلى أنه كان من القلائل الذين يعرفون شيئا عن مصر ، ولد فى ٧ مايو سنة ١٧٢٩ وأمضى نحو أربعين عاما متنقلا فى شمال أفريقية فعمل مترجما فى القاهرة ومراكش وتونس والجزائر ثم عين سكرتيرا مترجما للملك فى اللغات الشرقية ثم رقى فيها بعد سكرتيرا أول للشئون الشرقية فى سفارة فرنسا بالقسطنطينية وقد رحل ڤانتير إلى القاهرة قبل الغزوة بأعوام ثمانية حيث وثق علاقاته ببعض المشايخ والأقباط وكان شديد الاتصال ببعض بيوت المماليك ، ملما بتاريخها ، ثم عينه بونابرت كبيرا لتراجمة الحملة ومستشارا له ومرجعا فى المسائل الخاصة بالشرق والشرقيين [١] وفى هذا يقول الجبرتى « أن فانتورة هذا ترجمان سارى عسكر وكان لبيبا متبحرا يعرف اللغات التركية والعربية والرومية والطليانى والفرنساوى » وقد اشتغل الرجل فترة من الزمن مدرسا للتركية فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس وكان بونابرت معجبا به إعجابا شديدا وقد اعتبره « رجلا خارقا للعادة » وهو ينعاه إلى حكومة الأدارة [٢] .

أما فوفليه بورين F. De Bourrienne فيرجع اختياره إلى ثقة القائد العام به ووضعه من نفسه كاتما لسره وسكرتيرا خاصا لشئونه فى غزوة مصر وسوريا [٣] ولكن كليهما لم يستطع الاشراف على ما كلف به من إشراف إذ أنهما سافرا مع

---

(١) ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ ج ٥ Hanotaux. Histoire de La Nation Egyptienne

(٢) مراسلات نابليون وثيقة رقم ٤٢٦٧ ص ٥٠٧ ج ٤

(٣) راجع ما جاء من كلام نابليون فى صدر مذكرات بورين

بونابرت فى حملته على الشام وحل محلهما فى هذه الرقابة المواطن Pouss:elguc ابتداء من ٩ فبراير سنة ١٧٩٩ (١)

ومع هذا النظام الدقيق والاشراف المحكم الذى ضربه بونابرت على مطابعه فانها كثيراً ما أخلفت الميعاد فى إصدار الصحيفتين أو فى اخراج النداءات ونشر القرارات ذلك لأن مكان المطبعة لم يكن مستقرا بل كان يتبع نظام الحال فى كثير من الأحيان . وقد تولى اختيار مكانها برتوليه ومونج وكافاريللى بأمر من بونابرت(٢) فاستقرت أول الأمر فى منزل حسن كاشف بالقرب من الادارة الرئيسية للجيش حيث كانت معظم دواوين الحكومة الفرنسية (٣) وما أن وضعت فترة من الزمان وشرعت تؤدى واجبها حتى تبين للمسئولين عن نظام المجمع العلمى أن المكان لا يتسع للمطبعة والمجمع معا فصدر الأمر بنقلها إلى منزل عثمان أشقر بالقرب من القيادة العامة أيضا حتى إذا نظمت أمرها قامت ثورة القاهرة الثانية واعتدى الثائرون على المطبعة وحرقوا كثيرا من أوراقها ومن بينها العدد الثامن للعشرية المصرية وكان قد أعد للتوزيع (٤) وقتل فى هذه الثورة سكرتير مارسيل فى إدارة المطبعة . واضطر الفرنسيون إلى نقلها خلال تلك الثورة إلى الجيزة حتى تهدأ الحال ويستتب النظام ثم أعادوها إلى مكانها الأول بالمجمع العلمى بمنزل حسن كاشف . وفى العهد الأخير أيام عبد الله جاك منو نقلت إلى القلعة وبقيت بها حتى عادت الحملة إلى فرنسا .

---

(١) مراسلات نابليون وثيقة رقم ٣٩٥١ ص ٣٠٩ ج ٥

(٢) مراسلات نابليون وثيقة رقم ٢٩٣٨ ص ٣٠٢ ج ٤

(٣) كانيفيه مجلة المجمع ١٩٠٩ ص ١٤

(٤) راجع نهاية المجلد الثانى من مجلة لاديكاد اجبسين

أدت المطابع فى مصر سواء مطبعة أوريل أو المطابع الرسمية رسالتها على أحسن وجه ، وكان التوفيق حليفها جميعا ، بيد أن هناك بعض الملاحظات على ورق الطبع وحروف المطابع ، تصدمنا فى الورق خشونته فى المطبعتين الرسمية والتجارية كأنما اختير للحملة أقل الأصناف جودة ، وقد رجعنا فى المكتبة الأهلية بباريس إلى الصحف المعاصرة فاذا أكثرها يخرج فى ورق مماثل من حيث المادة للأوراق التى شغلت بها المطابع المصرية نشاطها ، وكانت حروف تلك الصحف المعاصرة على غرار ما عرفناه فى حروف مطابع مارسيل وأوريل إلا اختلافا طفيفاً بين المؤسستين المصريتين ، ذلك أن المطبعة الأهلية كانت تعنون موضوعاتها وتشير اليها فى لاديكاد ولوكوربيه خاصة بحروف كبيرة مفصلة بينما كانت تخرج الجريدتان فى مطبعة أوريل فى حروف صغيرة مزدحمة ، أى أن حروف المطبعة الرسمية كانت أكثر جودة وملاءمة لفن الطباعة منها فى المطبعة التجارية ، على أن من الأمور الواضحة أن هناك ضعفا بينا فى طبع الصور والرسوم التى أخرجتها المطبعتان المصريتان وكذلك حرمت المطبعة العربية من الهمزات التى قلما كنا نعثر على احداها .

ومهما يكن من أمر هذه المآخذ التى ذكرنا طرفا منها فأنها فى مجملها شديدة الشبه جدا بالمآخذ التى عرفت بها مطابع فرنسا فى ذلك الزمن ، على أن هاتين المؤسستين كانتا لدى المصريين شيئا غريبا على حياتهم ، وكان لها فى نفوس سراتهم التفات ظاهر سجلته جريدة لوكوربيه فى عددها الصادر فى (٣ فبراير ١٨٠١) حيث قالت « من الأشياء التى أثارت دهشة وعجب سكان مصر منذ وصولنا إلى بلدهم وكان لها تأثير عظيم عليهم ، وتعتبر شيئا جديدا كل الجدة بالقياس اليهم ، صناعة الطباعة . وقد زار المطبعة الأهلية عدة مرات فى العام الماضي كبار أعضاء

FORMULE

مثال من مطبوعات الحملة

الديوان ومن بينهم المشايخ المهدى والفيومى والصاوى وغيرهم ، وقد تطلعوا بشغف معجبين إلى العمليات المختلفة التى جربت أمامهم سواء باللغة الفرنسية أو باللغات الشرقية المتباينة .

« وقد دهش الشيخ محمد الفاسى الذى رأى مطبعة القسطنطينية ودهش كثير من السوريين الذين عرفوا هذه المؤسسة من السرعة والدقة التى يؤدى بهما العمال الفرنسيون عمليات الطبع » ثم تعقب الجريدة على ذلك بتوضيح الفروق التى شعر بها من رأى المطابع فى القسطنطينية أرقى بلاد الشرق العربى ومؤسسة الفرنسيين فى مصر ، ثم تمضى ذاكرة زيارة الشيخ البكرى للمطبعة الأهلية من أيام قليلة وتذكر أسئلته الكثيرة عن الطباعة نفسها بعد أن أدهشه ما رآه كما أخذ يستوضح عن جهد فرنسا فى نشر هذه الصناعة فى أوروبا ، وأى البلاد فيها له الصدارة والتفوق ، وأخذ يتساءل فى شغف عن آثار الطباعة فى مدنية الشعوب ويعدد للمسئولين فى ادارة المطبعة كتبا عربية كثيرة لا يعرفها إلا القليلون ، وانه ليرجو انتشارها بين العامة والخاصة عن طريق المطبعة . وقد كان لهذه المطابع أثر آخر فهى التى خلفت صداقة عميقة وودا متصلا بين الشيخ المهدى ومارسيل مدير المطبعة الرسمية [١]

ونقدم الآن قائمة بالمؤلفات التى نشرتها المطابع الفرنسية فى مصر أثناء احتلالها لها وهى المطبعة الشرقية الفرنسية فى الاسكندرية ومطبعة المواطن مارك أوريل طابع الجيش والمطبعة الأهلية فى القاهرة .

١ — « الحروف الهجائية العربية والتركية والفارسية تستعملها المطبعة الشرقية

---

(١) شارل رو ص ١٥٢

الفرنسية ، تأليف يوحنا يوسف مارسيل. حجم صغير في ١٦ صفحة طبع في الاسكندرية في سنة ٦ جمهورية .

الثمن : على ورق عادى ١٦ ميدان وعلى ورق ممتاز ٢٤ ميدان [1]

٢ — « تمارين في المطالعة العربية [مختارات من القرآن] يستعملها أولئك الذين يدرسون هذه اللغة ، تأليف يوحنا يوسف مارسيل . حجم صغير في١٢صفحة طبع في الاسكندرية في سنة ٦ جمهورية .

الثمن : على ورق عادى ١٢ ميدان وعلى ورق ممتاز ٢٠ ميدان .

٣ — « كوريه دو ليجيبت Courrier de l'Egypte » جريدة سياسية أسسها مارك أوريل ، تظهر كل خمسة أيام في القاهرة من مطبعة المواطن مارك أوريل بالنسبة للأعداد الثلاثين الأولى . طبعت بعد ذلك في المطبعة الأهلية ظهر منها مائة وستة عشر عدداً . وظهر العدد الأول في ١٢ فركتيدور Fructidor سنة ٦ (٢٨ أغسطس سنة ١٧٩٨) وظهر العدد الأخير في ٢٠ بريريال Prairial سنة ٩ . وكان العدد منها في أربع صفحات .

الثمن المحدد ستة ميدان .

٤ — « بيان الأحداث التي حدثت في أوروبا أثناء الأشهر الأربعة الأولى

---

(١) Médin أو Médino هي أصغر عملة مصرية في حجم العملة الفرنسية ذات الخمسة وعشرين سانتيما ولكنها أقل منها سمكا وطول نصف قطرها خمسة عشر ملليمترا ؛ وتزن ٧٣ درخمة أو ٢٢ر٧٦ جراما من الفضة . يحمل أحد جانبيها اسمها فقط أو اسم السلطان ويحمل الجانب الآخر « ضرب في مصر » والسنة التي ضربت فيها : راجع في ذلك :—

Descrip. de l'Egyp. 2 édition T. 16, P. 320 et 422

وعملة « ميدان أو مدينو تسمى ميدى أو مؤيدى ويذكرها الجبرتي بقوله (نصف فضة) راجع في ذلك شفيق غربال — مصر عند مفترق الطرق — هامش ص١٢ مجلة كلية الاداب مجلد ٤ ج ١ سنة ١٩٣٦ .

من العام السابع للجمهورية » . طبع فى القاهرة فى المطبعة الأهلية ١٢ ترميدور سنة ٧ [٣٠ يوليو سنة ١٧٩٩]

«نظرا لأن الأخبار التى أوردتها آخر اتصالات بريدية بفرنسا لم تعرفها الأغلبية إلا موجزة إيجازا كبيرا رؤى أن نشر هذا البيان سيكون مفيداً للجيش وللمواطنين الذين يتبعون الجيش .

وهذا البيان تضمه أوراق أربع صغيرة وفى بنط Cicéro — يصدر الآن من المطبعة الأهلية الكائنة بميدان الأزبكية حيث يمكن اقتناؤه وثمنه ١٢ مليما أو ١٦ ميدان »

٥ — « لاديكاد اجبسين . « La Décade Egyptienne » . صحيفة للآداب والاقتصاد السياسى . المجلد الأول . ظهر فى القاهرة صادرا عن المطبعة الأهلية سنة ٧ جمهورية .

وهذه الصحيفة المعدة للظهور كل عشرة أيام صحيفة أدبية محض . ولا يقبل فيها أى خبر أو أى جدل سياسى . ولكن يرحب على صفحاتها كل الترحيب بكل شىء يمت بسبب إلى مجال العلوم أو الفنون أو التجارة من حيث صلاتها العامة والخاصة أو التشريع المدنى والجنائى أو المنظمات المعنوية أو الدينية .

وغرض المحررين أن يعرّفوا مصر ليس فقط إلى الفرنسيين المقيمين بها الآن ولكن إلى فرنسا وأوروبا أيضاً .

وكل عدد من هذه الصحيفة مكون من أربع ورقات صغيرة والاشتراك يبلغ تسعة جنيهات للمجلد أو للثلاثة شهور المشتملة على تسعة أعداد . وكل عدد على حدة يدفع له جنيه أو ٢٨ ميدان ، ويخابر بصدد الاشتراكات حضرة مدير المطبعة الأهلية بالقاهرة بميدان الأزبكية .

٦ — « وصف الرمد فى مصر وطرق علاجه التى اقترحها الطبيب انطونيو سفاريزى طبيب الجيش الفرنسى فى الشرق » ظهر فى القاهرة من المطبعة الأهلية سنة ٨ للجمهورية الفرنسية .

٧ — « التقويم السنوى للجمهورية الفرنسية محسوبا بالنسبة للقاهرة فى السنة الثامنة من العهد الفرنسى » . ظهر فى القاهرة من المطبعة الأهلية سنة ٨ للجمهورية (١٠ نيفوز سنة ٨ - ٣١ ديسمبر سنة ١٧٩٩) .

وهذا التقويم وضع مشابها لتقويم باريس . وضعته لجنة خاصة من المجمع المصرى . وهذه اللجنة - وقد عينت فى العشرة الأيام الأخيرة من فركتيدور سنة ٦ كانت قد وضعت تقويما سنويا للسنة السابعة ولكن لم يمكن طبعه نظراً لأن المطبعة الأهلية كانت فى الاسكندرية وقتئذ .

وقد احتفظ فى هذا التقويم بالتعدادات الجديدة التى أجريت فى المقاطعات الفرنسية وكذلك بملاحظات وحسابات أخرى مثيرة . ويوجد به - بعد جدول للمقاييس الجديدة فى الجمهورية - جدول مقارن للمقاييس الفرنسية والمصرية وقد أدخل فيه مطابقة التقويم الهجرى للتقويم الفرنسى وكذلك شىء عن الفنون القبطية والأغريقية بمقتضى الأرشادات المقدمة من أهالى البلاد والمهتمين بتدوين مذكراتهم . ولسهولة استعجاله طبع منه صورة أخرى أقل تفصيلا .

وهذان التقويمان ينتهيان بجدول عن الحالة الحربية لجيش الشرق وعن الأعضاء المكونين للديوان الكبير وعن الأدارة العامة للمالية وعن المجمع وعن اللجنة الخاصة بالعلوم والفنون . ومن المهم أن نُذكّر أنه قد أضيف إلى كل من التقويمين عند طبعهما ملحق من أربع صفحات تحت عنوان : « إضافات وتصحيحات » .

٩ — « محفوظات من لقمان الملقب بالحكيم » طبعة عربية مصحوبة بترجمة فرنسية ومسبوقة بملاحظات هذا الحكيم المشهور كتبها يوحنا يوسف مارسيل وقد ظهر فى المطبعة الأهلية سنة ٨ فى مجلد صغير فى ١٢٠ صفحة .

ثمنه مجلدا ٩٠ ميدان .

١٠ — « تنبيه عن داء الجدرى السائد مقدم بالفرنسية والعربية إلى ديوان القاهرة » من المواطن ديجينت [1] الطبيب الأول لجيش الشرق ظهر فى القاهرة من المطبعة الأهلية فى ٢٧ نيڤوز سنة ٨ جمهورية .

١١ — « دستور الجمهورية الفرنسية سنة ٨ » ظهر فى الجيزة من المطبعة الأهلية فى الحجم الصغير وكان يباع فى الجيزة عند مدير المطبعة الأهلية وثمنه ٣٥ ميدان.

١٢ — « تقويم لسنة ٨ متبوعاً بالدستور الفرنسى » ظهر فى الجيزة من المطبعة الأهلية فى الحجم الصغير وهذه الطبعة من الدستور الفرنسى الجديد مجموعة مع التقويم كانت تباع فى المطبعة الأهلية وثمنها ٦٠ ميدان .

١٣ — « لاديكاد اجبسيين La Décade Egyptienne » جريدة للآداب والاقتصاد السياسى، المجلد الثانى ظهر فى القاهرة من المطبعة الأهلية سنة ٨ جمهورية.

---

(١) Nicolas-René Dufriche (Desgenettes) كان طبيباً من أطباء الجيش ولد فى النسون سنة ١٧٦٢ ومات بباريس سنة ١٨٣٧ ، خدم أول أمره فى جيش ايطاليا ثم عين كبيرا لأطباء الحملة المصرية ، وقد اكتسب احترام وتقدير الحملة جميعا ، وبعد عودة الجيش من مصر إلى فرنسا عين مفتشا عاما لمصلحة الصحة ، وقد اختير بعدئذ كبيرا لأطباء الحملة الروسية وقبض عليه الروس ثم أطلقوا سراحه ، وقد بقى فى خدمة الامبراطورية النابليونية حتى موقعة واترلو ، وبعد رجعة ملكية البربون عين أستاذا فى كلية الطب بجامعة باريس سنة ١٨٢٢ ثم انتخب بعدئذ عضوا باكاديمية العلوم .

راجع ص ٨٠٠ Larousse du XX e Siécle TII

وهذا المجلد الذى تاخر نشره بسبب الأحداث التى حصلت فى مصر وبسبب ضياع العدد الثامن الذى احترق ولسبب التنقلات الكثيرة للطبعة الأهلية يشتمل على المقالات التى تتصل بالفنون والعلوم والآداب

١٤ — « دستور الجمهورية الفرنسية سنة ٨ » ظهر فى الجيزة من المطبعة الأهلية حجم صغير .

وهذه هى الطبعة الثالثة للدستور الفرنسى الجديد وهى فى حجم أسهل حملا وأكثر إراحة من الطبعات السابقة . تم طبعها فى الجيزة فى آخر اللحظات التى انتهت بها مدة بقاء المطبعة الأهلية مضطرة هناك وكان يمكن الحصول عليها من القاهرة فى المقر الجديد الذى اتخذته المطبعة الأهلية لنفسها فى المنزل الذى كان من قبل منزل عثمان بك الأشقر وثمنها مجلدة ٣٥ ميدان .

١٥ — « مجموعة المستندات الخاصة بأجراءات محاكمة سليمان الحلبى قاتل القائد العام كليبر » باللغات الفرنسية والعربية والتركية .

١٦ — « التقويم السنوى للجمهورية الفرنسية فى السنة التاسعة من العهد الفرنسى » ظهر فى القاهرة من المطبعة الأهلية سنة ٩ للجمهورية الفرنسية .

وهذا التقويم — وقد وضع مشابهاً لتقويم باريس — وضعته لجنة من المعهد العلمى المصرى .

وقد أدخل فى التقويم مطابقة التقويم الهجرى للتقويم الفرنسى وكذلك شيء عن الفنون القبطية والأغريقية . ويوجد به - بعد جدول المقاييس الجديدة فى الجمهورية الفرنسية - جدول مقارن للموازين والمقاييس فى القاهرة وكذلك تعريفة النقود وتعريفة نقل الخطابات وكذلك فيضانات النيل والطريقة الهندسية لرسم الخريطة وتحديد أهم النقط وتقسيم مصر .

وهذا التقويم ينتهى بتفصيل الحالة الحربية وحالة الأدارات التابعة للجيش وبقائمة أعضاء المجمع ولجنة العلوم والفنون .

١٧ — « تنبيه فيما يخص داء الجدرى وعليه شرح موجه إلى أرباب الديوان بمصر القاهرة » أى « تنبيه عن داء الجدرى السائد » يقدمه إلى ديوان القاهرة المواطن ديجينت الطبيب الأول لجيش الشرق . ظهر فى القاهرة من المطبعة الأهلية سنة ٩ .

وهى طبعة ثانية عربية فقط من الكتيب السابق نشره بالعربية والفرنسية فى مثل هذا الوقت من العام الماضى حين كان داء الجدرى متفشيا فى البلاد .

١٨ — « لاديكاد اجيبسيين La Décade Egyptienne » جريدة للآداب والاقتصاد السياسى . المجلد الثالث ظهر فى القاهرة من المطبعة الأهلية .

وهذا المجلد يقع فى ٣١٦ صفحة بدىء فى إصداره فى أول مسيدور ولكن لم يمكن إصداره إلا فى ٣٠ فانتوز نظراً لعدة عوامل معاكسة .

١٩ — « مختارات من الأمر الصادر فى أول مارس سنة ١٧٩٨ لتنظيم العمل فى الميادين والأحياء » ظهر فى القاهرة من المطبعة الأهلية سنة ٩ للجمهورية الفرنسية ويقع فى ١٠٨ صفحة .

وهذا المؤلف الذى انتهى طبعه فى القلعة يشتمل على المقالات الآتية (١) عن الجمعية والتفتيش وعرض الحرس (٢) عن عمل الحراس فى مراكزهم (٣) عن فتح وغلق الأبواب (٤) عن الأمر والكلمة (٥) عن الانسحاب وداوريات البوليس (٦) عن التفتيش على المراكز للإطمئنان على حسن سير الأمور . (٧) عن عمل الضباط العظام فى الميدان (٨) عن كتائب الحرب (٩) عن جمعية القوات (١٠) عن بوليس الميادين .

٣٠ — « أجرومية للعربية الدارجة لاستعمال الفرنسيين والعرب » تأليف يوحنا يوسف مارسيل ظهر فى الاسكندرية . غير كامل من صفحة ١ إلى صفحة ١٦٨ وهو مؤلف بدىء فيه فى القلعة بالقاهرة ثم بالأسكندرية ولكن لم يستكمل طبعه

ولسنا نعنى بنشر هذه القائمة التى اعتمدنا فى نقلها على چيس[١] أن هذه المطبوعات التى أشرنا اليها هى كل ما أخرجته مطابع الحملة ، فأن عشرات غيرها غير مئآت من المنشورات قد صدرت عن هذه المطبعة وخاصة عن المطبعة فى الاسكندرية ولم يأت ذكرها إما لأن الاعلان عنها أهمل لأمر ما فلم تدع لوكوربيه دو ليجبت شيئاً عنها أو أن أحداً لم يعن بحصرها ، وقد ثبت هذا الإهمال فى كثير من الظروف

غير أن هذه البيانات التى ذكرناها أهملت تلك المؤلفات التى أخرجتها المطبعة الرسمية حين كانت فى مدينة الاسكندرية ، لذلك أصبح من المتعذر اعتماد التحديد الذى أصدره « أحد المسئولين » بأن المطابع الفرنسية أخرجت هذه المصنفات وحدها ، وخاصة أنه ثبت فيما بعد أن المطبعة الشرقية والفرنسية طبعت فى الاسكندرية « قانون العقوبات الخاص بجيوش الجمهورية فى وقت الحرب فى ثمان وسبعين صفحة» ولم يذكر « أحد المسئولين » شيئاً عن طبع هذا القانون[٢] كذلك أسقط هذا المسئول من حسابه الفرمانات والبلاغات التى كانت تذيعها المطبعة العربية للديوان والتى عثرنا على بعض منها فى المكتبة الأهلية ومكتبة مدرسة اللغات الشرقية بباريس مذكور عليها « طبع بمطبعة الفرنساوية العربية » .

على أن أفضل المطابع التى خدمت القائد العام من الناحية السياسية فى مصر

---

(١) Bulletin de L'Institut Egyptien 5 éme Série T.I. 1904 P. P.133—157

(٢) شارل رو ص ١٥٣

هى مطبعته العربية . فبوساطتها أذاع على السكان بين الفينة والفينة تلك النداءات التى كانت تساعد من غير شك على توجيه الوطنيين توجيها خاصا ، فكان الفرنسيون إذا أرادوا أمراً هيأوا لمعرفة الناس به « نسخا من ذلك كثيرة أرسلوا منها إلى الأعيان ولصقوا منها نسخا فى مفارق الطرق ورءوس العطف وأبواب المساجد »[١] كما أن بونابرت استطاع عن طريق هذه المطابع العربية أن يكاتب أمير الحج وزعماء العرب ليكفوا عن قتاله ويصلوه بالود والمعروف [٢].

أدت المطبعة وظيفتها كما رأينا على أحسن ما تؤدى الوظائف وبقيت تقوم بعملها حتى ختام الحملة فى سنة ١٨٠١ وقد ذكر فيليب دى طرازى فى كتابه (تاريخ الصحافة العربية) أن المطبعة الرسمية للحملة بقيت فى القاهرة حتى اشتراها محمد على وحسنها وأضاف اليها بحيث أصبحت فيما بعد مطبعة بولاق [٣] .

وقد تأثر كثيرون ممن كتبوا عن الصحافة المصرية بهذا الرأى الذى يبدو قاطعا فى مظهره وإن لم يؤيده مؤرخ من الفرنجة الذين رجعنا فى بحثنا اليهم ، بل أن الوثائق التاريخية تقطع فى وضوح بأن مطبعة الحملة سواء الشرقية منها أو الفرنجية عادت إلى باريس ، ففضلا عن أن الفرنسيين عنوا كل العناية بآثارهم فى مصر واحتفظوا بها فى أوبتهم إلى بلادهم فأن موضوع المطبعة بالذات ونقلها إلى فرنسا كان من بين الأشياء التى اهتمت بها حكومة القنصل الأول ، فقد كتب برتييه Berthier وزير الحربية فى عهد القنصلية بناء على أمر نابليون إلى الجنرال بليار Belliard

---

(١) الجبرتى — عجائب الآثار — ج ٣ ص ٢٠

(٢) الجبرتى ـ عجائب الآثار ج ٣ ص ٤٩

(٣) فيليب دى طرازى — تاريخ الصحافة العربية ج ١ ص ٤٩ طبعة سنة ١٩١٣

فى ٢٢ فاندامير سنه ١٠ جمهورية بان « . . . جميع الآلات والمخطوطات العربية والمكتبة وحروف المطبعة العربية ترسل إلى باريس وتوضع فى وزارة الداخلية



الجنرال بليـار

التى سأ كلفها تهيئة الظروف المناسبة لنقلها ، وقد أعيدت فعلا بناء على هذا الأمر « الحروف العربية التى حملت من باريس وروما إلى المطبعة الأهلية بباريس » [1]

وقد بقيت مصر بضعة أعوام محرومة من المطابع حتى أسس محمد على مطبعة بولاق وغدت المطبعة الرسمية للحكومة المصرية فى عهدها الجديد .

(١) كانيفية مجلة المجمع ١٩٠٩ ص ١٤ ، ١٥

جريدة لوكوريه دوليجبت

لم تنشأ الصحافة فى مصر كما نشأت فى أوروبا ، ولم يعرف المصريون الخبر المطبوع كما رأينا إلا بعد نزول حملة بونابرت فى الأراضى المصرية ، ولم تكن سوق الأخبار المخطوطة أو المنسوخة نافقة على الصورة الواضحة التى عرفتها جمهورية البندقية أو الأمارات الألمانية والأيطالية وغيرها من بلاد أوروبا ، ولم يكن هناك رواة احترفوا إذاعة الأخبار فى الأسواق الكبيرة فى مواعيد معروفة ، ولم يتاجر المصريون بالأخبار واتخذوها حرفة وصناعة ، وإنما عرفت مصر الصحافة فجأة ولم تطل مقدماتها وساير نشاط الطباعة نشاط الصحافة عكس ما درجت عليه أوروبا التى سبقت طباعتها صحافتها لعدة أجيال .

وكان أهم ما أصدره بونابرت بعد الاستيلاء على القاهرة مباشرة جريدة بريد مصر Le Courrier de l'Egypte [1] ويبدأ العدد الأول بتاريخ (١٢ فريكتيدور سنة ٦ جمهورية) ٢٨ أغسطس سنة ١٧٩٨ ويحمل العدد الأخير منها تاريخ (٣٠ برا ايريال Prairial سنة ٩ جمهورية) يونيه ١٨٠١ ، وقد صدر منها بين التاريخين ستة عشر ومائة عدد فى حجم كتاب وسط ، طولها عشرون سنتيمترا وعرضها أربعة عشر سنتيمترا ، ضمت كل صفحة نهرين باللغة الفرنسية ، تحمل أخبار مصر الداخلية وهى الأخبار المحلية فى القاهرة والأقاليم ، وكان القصد من نشر هذه الأخبار أن يعرف الفرنسيون فى القاهرة ما يجرى لدى زملائهم فى الأقاليم ، وفى

---

(١) شارل رو . ص ١٤٥

COURIER DE L'EGYPTE.

 N.° I.er

LE 12 FRUCTIDOR, VI.e ANNÉE DE LA RÉPUBLIQUE.

NOUVELLES.

Corfou, 27 messidor an 6. Le vaisseau de guerre *le Stengel* est arrivé d'Ancône dans ce port, escortant un convoi de trois mille Français qui sont venus pour renforcer la garnison des îles Ioniennes.

La prise de Malte par la France a fait ici une joie universelle. Les départemens d'Ithaque, de Corcyre et de la mer Egée sont dans la situation la plus satisfaisante; il y règne le plus grand enthousiasme pour la liberté, et le plus grand attachement à la mère patrie.

De Janina, le 15 messidor. Notre Pâchâ est toujours sous les murs de Widdin, commandant en second l'armée du grand seigneur sous le capitan-pâchâ, qui est destinée à faire la guerre à Passewan Oglou qui reprend toujours de nouvelles forces. Après le combat malheureux où notre armée a perdu 700 hommes, et a été obligée d'abandonner le champ de bataille, l'armée de ce rebelle s'est encore augmentée.

Il y a quelques jours, est arrivé ici l'adjudant général Rose qui a eu une audience de cérémonie du fils du pâchâ, à l'issue de laquelle il a été expédié un courier sur un dromadaire, portant au pâchâ une dépêche extraordinaire.

Malte, 25 messid. La fête du 14 juillet s'est célébrée ici avec la plus grande pompe. Les bienfaits de la liberté se font *sentir dans toutes les classes*; il n'est pas un seul Maltais qui ne bénisse l'heureux changement qui a eu lieu.

Trois frégates anglaises bloquaient notre port. Le vaisseau de guerre *le Dego* et la frégate *la Carthaginoise* sont sortis pour leur donner chasse.

Le vice roi de Sicile avait *refusé* de nous donner des vivres; mais sur les instances de notre ambassadeur à Naples, il vient de permettre l'exportation de la Sicile. Au reste nous avons du bled pour la garnison et les habitans pour dix huit mois.

Tripoli, 28 messidor. Le pâchâ de Tripoli, dès l'instant qu'il a eu reçu la demande du Général en Chef, de mettre en liberté tous les esclaves maltais (le Général en Chef lui avait envoyé une grande quantité de Tripolitains et autres esclaves turks) les a envoyés par un bâtiment à Malte, avec une grande quantité de bleds et de fruits, et quatre superbes chevaux de race dont il a fait présent au général commandant à Malte.

Alexandrie. La ville est encombrée de matelots et d'équipages de nos vaisseaux, provenant de l'escadre. Tous les prisonniers ont été rendus.



جريدة لوكوريه دوليجبت

ذلك يقول الجبرتى « لأن القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية فى جميع دواوينهم وأماكن أحكامهم ثم يجمعون المتفرق فى ملخص يرفع فى سجلهم بعد أن يطبعوا منه نسخا عديدة يوزعونها فى جميع الجيش حتى لمن يكون منهم فى غير المصر من قرى الأرياف فتجد أخبار الأمس معلومة للجليل والحقير منهم »[1]

وكانت هذه الجريدة تنقل كثيرا من أخبار سوريا وفلسطين وأوروبا خاصة مطولة أو مختصرة ، على أنها فى الحالتين منتخبة انتخابا ملحوظا ومنتقاة لغرض معين[2] وكان المسئولون يلاقون عناء شديدا فى الحصول على الصحف التى ينقلون عنها أخبار الخارج نظرا لوجود الاسطول الانجليزى رابضا فى المياه المصرية[3].

وكانت الى الاخبار المحلية والخارجية تنشر الحوادث الرسمية وأخبار الجيش وتنقلاته وحروبه ثم لا تدع فرصة للترويح عن قرائها إلا واستغلتها فكانت تنشر كثيرا من أخبار الحفلات العامة مطولة . كذلك أخبار الحفلات الخاصة والتمثيلية وما إليها ولم تنس بين أخبارها حوادث الديوان وأعماله وأخبار الأعياد المصرية العامة وتعليمات الأدارة وخطابات بونابرت لرؤساء جيشه التى توحى باتجاه خاص ككتابه الذى يندد فيه بكثرة ما يمنح للجنود من إجازات العودة إلى فرنسا[4] كما كانت تعنى بنشر تفاصيل زيارات بونابرت لعلماء المصريين ورجال دينهم وقالت فى ذلك تصف زيارته للسيد السادات :—

---

(١) الجبرتى . عجائب الآثار ج ٣ ص ٢٥٤

(٢) شارل رو . ص ١٤٥

(٣) كانيفيه . مجلة المجمع ١٩٠٩ ص ١٥ ، ١٦

(٤) جريدة لوكوريه دو ليجبت عدد ٢١

« فى ٢١ نوفمبر وبمناسبة مولد السيدة زينب الذى يحتفلون به فى مسجدها ، دعا الشيخ السادات الجنرال بونابرت لتناول الطعام ، ثم مضت تصف ما تم فى هذه الزيارة قائلة :—

« فى كل المنازل الكبيرة فى القاهرة توجد شقة كبيرة مفتوحة تماما من ناحية الشمال للتمتع أثناء الصيف بالهواء المنعش الذى يأتى دائما من هذا الاتجاه ، وهذه الشقة تسمى المنظرة ، وهنا استقبل الجنرال والفرنسيون الذين صحبوه ، وفى هذا المكان قدم الطعام على عدة صوان سهلة الحمل والنقل يستطيع عشرة أشخاص أو اثنا عشر شخصا أن يصطفوا حولها وكانت حافة هذه الصوانى محلاة بكمية كبيرة من خبز رخو قليل السُّمْك منتفخ كالعجة وبأطباق من الخضر الباردة استمرت مكانها طوال وقت تناول الطعام . أما مركز الصوانى فقد شغل على التوالى بحوالى ثلاثين طبقا قدم الواحد تلو الآخر بسرعة ، ولم يستمر أحدها فى مكانه أكثر من دقيقتين ، فكان طبق من اللحم يرفع ليحل مكانه طبق من الخضر أو من الحلوى أو من الزبد . . وحين فرغت هذه السلسلة قدم « أرز بلبن » من أنواع مختلفة . ويطلقون هذا الاسم على طعام كثيف من الأرز الذى طهى بالماء ثم عولج بالسكر وبمواد ذات رائحة جميلة تكسب طعمه نكهة خاصة . وتبع « الخشاف » بأنواعه هذا الأرز وهو لا يشبه فى شىء المشروبات المثلجة التى نتناولها فى أوربا فهو ماء مسكر وضعت فيه بعض الروائح العطرية مع بعض الفاكهة مثل الموز ونواة الفستق .. الخ .

وكان الطعام قد قدم وتبع بالأحاديث . . فقد قال الجنرال بونابرت للشيوخ ان العرب كانوا قد أزهروا العلوم والفنون التى عرفت أيام الخلفاء ولكنهم

أصبحوا اليوم فى جهل مطبق وأن شيئا ما لم يتبق لهم من معارف أجدادهم . فأجاب الشيخ السادات بأن القرآن بقى لهم محتويا على كل المعارف فسأل الجنرال عما إذا كان القرآن يعلّم كيف يصهر المدفع . فأجاب كل الشيوخ الموجودين بجرأة أنْ « نعم . »[١]

وكانت فى بعض الأحيان تذيع قليلا عن المجمع العلمى المصرى ولم تخل فى كثير من أعدادها من ذكر الحوادث ذات العبر أو بعض موضوعات تاريخية قصيرة تتصل بحياة الشرق أو الغرب.

هذا إلى المقالات الأدبية وأخبار الرحلات فى خلال الحملة وقبيلها إيجازا وتفصيلا ثم أخذت تنشر بعض الأشعار لجالان و De Benaben وغيرهما . كما أن الأعلانات عاشت فى معظم أعدادها وهى إعلانات طريفة عن كتاب أو قهوة . وقد دأبت على نشر الأخبار التى تنقلها عن صحف الغرب مسبوقة بتعبيرات لم تكن معروفة كثيرا فى ذلك الوقت كقولها جاءنا من .... وكتب إلينا ... وكانت تظهر كل خمسة أيام وتباع فى الصباح بعد أن تطبع فى اليوم السابق فى الساعة الثالثة بعد الظهر[٢]

عين بونابرت بنفسه برسيفال جران ميزون Parceval de Grandmaison للأشراف على تحرير الجريدة وهو من الأدباء المعروفين فى الحملة غير أنه رفض هذه الوظيفة ، فأصدر القائد العالم أمرا جديدا بتعيين المواطن فورييه Fourier

(١) لوكورييه دوليجيبت عدد ٢٢ ص ٢

(٢) جريدة لوكورييه دوليجبت عدد ١٠١

وهو ممن يشتغلون بالرياضيات بيد أنه كان فى رشيد ولم يعد إلا بعد أسبوعين من صدور الأمر بتعيينه ، وشغل مكانه خلال فترة غيابه المهندس كوستاز Costaz [1]

مصغر لظهر الصفحة الرابعة للوكوريه فى مطبعة مارك أوريل

وقد صدر العدد الأول من لوكوربيه يعلن أن طابعها مارك أوريل وأنه صاحب امتياز بيعها مبينا ذلك فى قوله « يعلن المواطن مارك أوريل مواطنيه أن ثمن لوكوربيه ست ميدان (نصف فضة) وأن الاشتراك فى ثلاثين عدد مائة وخمسون نصف فضة ولن تعتمد الاشتراكات إلا إذا دفع ثمنها مقدما وأنه يرجو المواطنين فى الخارج الذين يرغبون فى الاشتراك أن يرسلوا خطاباتهم مصحوبة بها » ثم عقب على ذلك بأن مكان الجريدة فى حى الفرنسيين .

ويعتبر إعلان مارك أوريل الذى نشره فى لوكوربيه أول إعلان من نوعه فى مصر يشاهد فيه القارىء أسلوبا جديدا من الدعاية التجارية فى هذه البلاد [2] وقد لقى هذا الاعلان أذنا مصغية فأقبلت عليها الاشتراكات واشتدت رغبة المواطنين من الفرنسيين فيها

(١) شارل رو ص ١٤٥

(٢) كانيفيه . مجلة المجمع ١٩٠٩ ص ١٥

وتعتبر الأعداد الأولى جافة بالقياس إلى أعداد السنتين الثانية والثالثة من حياتها فقد خلت من الموضوعات الهامة ، وقليلا ما عثرنا فيها على مقال ممتع أو خبر طريف ، وكان تعليقها على الحوادث المصرية تعليقا فاترا ، وقد ظهر أن الأخطاء المطبعية متناثرة خلال السطور حتى إن الطابع أخطأ فيهامرة فنشر تاريخ العدد الثالث (٢٠ فريمير وصحته ٢٠ فريكتيدور) كما أنها أسقطت حرفا من الحروف التى تكون اسمها [١] وقد ضايقت هذه الأخطاء الجنرال بونابرت وكانت ضمن الأسباب التى دعته إلى طلب المطابع الرسمية من الاسكندرية ، على أن كليبر كان أضيق صدرا بهذه الجريدة من رئيسه بونابرت ، كتب إلى برتييه ردا على كتاب منه بأن « إخراج جريدتكم التى تصدر فى القاهرة لا يشجع مطلقا على جمع مشتركين كثيرين من الذين يتكلمون الفرنسية فاكتبوا فيها على الأقل لغة ! » [٢]

على أن هذا الحكم القاسى الذى أصدره الجنرال كليبر لم يحرم الجريدة عطف الجماهير من المواطنين الذين كانوا يتلهفون عليها ويعتبرونها شيئا لا يقوم بثمن لما تحمله إليهم من أخبار فرنسا غير ما هنالك من جديد عليهم فى الأخبار الداخلية المصرية ، وقد ظهر أخيرا أن كليبر اعترف بقيمتها وضرورتها لأنه حين ولى أمر مصرعين لرئاسة تحريرها الدكتور دجنت ابتداء من العدد السابع والثلاثين الصادر فى (٢٩ فريكتيدور سنة ٧ للجمهورية) وكان المنتظر أن ينصرف عنها بل يقضى عليها [٣]

---

(١) راجع الأعداد الأربعة الأولى والعدد ٣١ الصادر فى ١٩ مسيدور ٧ جمهورية من جريدة لوكوريه فقد كتب اسمها Courier ينقصه حرف R الثانى

(٢) شارل رو بونابرت حاكم مصر ص ١٤٦

(٣) كانيفيه . مجلة المجمع ١٩٠٩ ص ١٥

صدرت لوكوريبه فى أربع صفحات بقطع رباعى (in quarto) متضمنة عدة أقسام أهمها القسم السياسى الذى كان يتغير كلما تغير الحال ، ففى السنة الأولى استغرق صفحات الجريدة مدح بونابرت ثم مدح كليبر من بعده ، وهكذا كان الحال مع عبد الله جاك منو

وقد اعتادت لوكوريبه أن تبتدىء بخبر أو مقالة عن الخارج فتذكر — على سبيل المثال — استيلاء جنود الحملة على مالطة وصداه فى فرنسا وأن سرور الفرنسيين بذلك فاق حد التصوير ثم تحمل فى شىء من السخرية على الانجليز ووزيرهم بت (Pitt) ثم تنتقل بعد الأخبار الخارجية الى الأخبار الداخلية فتذكر ازدحام الأسطول بالمياه المصرية وتصف المتاعب التى يلقاها رجاله لقلة عمق المياه ثم تعقب على ذلك بأخبار القاهرة فتذكر وصفا شائقا لحفلة وفاء النيل فى أول (شهر فريكتيدور سنة ٦ جمهورية) الموافق ١٢١٣ هـ فتصف كيف بدأ الاحتفال فى الساعة السادسة صباحا بوجود بونابرت وضباطه العظام وكخيا الباشا والأغا ، وكيف أن الناس تجمعوا بكثرة وركبوا المراكب فرحين ، واشترك الجيش بأسطوله النهرى ، وعزفت الموسيقى الفرنسية والعربية أثناء مرور المهرجان ، ثم تصف فتح السد وتدفق المياه بشدة . وتذكر أن الجنرال بونابرت ألقى على الجماهير فى تلك اللحظة كثيرا من النقود الفضية .

وكانت أهم الموضوعات التاريخية عندها ما كان متصلا بمصر فروت كثيرا من هذه النبذ التاريخية ، ومن ألطفها ترجمتها للكتابين المتبادلين بين عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب ، وكانت ترجمة الكتابين صحيحة لا مبالغة فيها ولا تحوير [1] ومن

(١) جريدة لوكوريبه عدد ٣٠

مقالاتها المهمة التى تلفت النظر حديثها فى العدد الثانى عن العلاقات بين أيرلنده وانجلتره ، وروايتها لتاريخ الكفاح بين هذين البلدين وتصويرها له كفاحا صامتا لم ياخذ طريق العنف بعد ، وقد طال تعليق الجريدة فى هذا الموضوع حتى استمر أربعة أعداد متواليات . على أن التطور الملحوظ فى الأسلوب والموضوع يبدأ من العدد الخامس والعشرين والأعداد التالية من هذه الجريدة ، فقدأذاعت لوكوريبه على قرائها إعلانا ضمنته أنها ستنشر من الآن فصاعدا ما يفيد قراءها الأوروبيين وأنها ستعطيهم فكرة صحيحة عن تقاليد وعادات الشعب الذى يصاحبونه فى كل يوم ، وأكدت أنه لن ينشر موضوع ما سواء كان قصة أو تصويرا لحالة من الحالات إلا بعد دراسة مستوفاة ثم عقبت على ذلك بتقديم (ريجو) أحد أعضاء المجمع العلمى المصرى ليقص عليهم فى باب جديد اسمه « متفرقات » بعض ما عليه الجهلاء فى مصر فقالت :—

« شرع المواطن الرسام ريجو وهو عضو فى المجمع العلمى المصرى فى سلسلة من الدراسات حول الطبيعة والبشر فى هذا البلد . وكانت قافلة النوبة التى وصلت إلى القاهرة فى ڤاندمير الماضى تمثل بالنسبة لهذه الدراسات فرصة ثمينة . فالأشخاص الذين تتكون منهم يقطنون أراضى بعيدة فى أواسط افريقية . وكان قائد القافلة « عبد الكريم » ملفتا للأنظار لشدة وضوح الخلق النوبى فى هيئته . فعزم المواطن ريجو على رسمه وشرع فى اجتذابه إلى منزله ونجح فيما شرع فيه بعد أن أنفق كثيرا من الأموال وبعد مفاوضة طويلة غير متصلة جاء عبد الكريم إلى حجرة رسم المواطن ريجو مصحوبا بحاشية من مواطنيه يبلغ عددها قرابة عشرة أشخاص . ومتخذا احتياطات رجل قد اقتنع بأنه جذب إلى فخ ؛ ولما ضمن أن روحه اقتنع

بوجوب صرف حاشيته . وعندئذ صمم المواطن ريجو أن يرسمه فى حجمه الطبيعى وأظهر النوبى رضا عن الرسم التخطيطى وكان يشير بأصبعه إلى أجزاء الرسم ثم إلى الأجزاء المقابلة لها من وجهه ويقول : « طيّب » أى حسنا ولكن حين اتم الفنان التلوين كان الأثر مخالفاً لهذا تماما : فلم يكد عبد الكريم يلقى بصره على الرسم حتى تراجع بعنف وهو يصيح صيحات الفزع وأصبح من المستحيل إعادة الهدوء إلى نفسه وبمجرد أن فتح باب حجرة الرسم هرب بأقصى سرعة اتاحتها له ساقاه وقال فى الحيّ إنه قادم من بيت أخذوا فيه منه رأسه ونصف جسمه »[1] .

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

مصغر لظهر الصفحة الرابعة للوكوريه فى المطبعة الرسمية

وقد احتل باب « متفرقات » مكانا رفيعا من الجريدة وفى نفوس القراء لأن ما ينشر تحت هذا الباب وكان ملفتا للنظر حقا وكانت الجريدة تنشر فيه كثيرا عن عادات المصريين ، وتتحدث عن زواجهم واختيار ليلة الجمعة لعقد الزواج ، وتذكر شيئا عن الطلاق وتعدد الزوجات ومؤخر الصداق والعناية بالعرض والذود عنه وعقاب الزانية بإلقائها فى النيل ، ثم تنتقل المتفرقات إلى إخلاص المصريين وسلامة طويتهم وتقديسهم للعيش والملح واعتبار القسم عليهما قسما مقدسا[2] ثم

---

(١) جريدة لوكوريه دوليجبت عدد ٢٥

(٢) جريدة لوكوريه عدد ١١٦

يمضى هذا الباب فى رواية طرف من نظام الأخذ بالثأر بين الأسر والجماعات ، ويصور الكاتب فى مرات مشاهداته لمجالس القضاء وخاصة محاكمة التركى الذى قتل ضابطا من رجال المدفعية الفرنسية وكيف قرر القاضى إعدامه بالسكين التى قتل بها ضحيته وبنفس الطريقة التى اتبعها مع فريسته [١] وإلى غير ذلك من دراسات اجتماعية لأحوال البلاد المصرية .

وكانت لوكورييه دو ليجبت تعنى فى بعض الأحيان بالشعر وتفسح صدرها للمقول منه والمنقول ، وقد رأينا ممن قال الشعر فيها بيريه Perrée وأهم قطعة له تصور أسدا وهرا وثعلبا تتنافس على حمل صغير [٢] وكذلك لجالان جولات شعرية لا بأس بها فى مدح بونابرت وتعظيم فرنسا وجيوشها ، يشوبها شىء من المبالغة التى مرجعها فيما نظن وظيفته فى دار الطباعة ، على أن معظم هذه القطع الشعرية لا تتجاوز سطورا عشرة ، وأطول من قال فى هذا الشعر شامبرو Chambreaud بعنوان « عند أهرام الجيزة » وتعتبر قطعته هذه من أطول القصائد التى نشرتها الجريدة أما المنقول من الشعر فكان يؤخذ عن مجلة « عطارد فرنسا Mercure de France » وهى مجلة يأتى بها البريد أحيانا .

والتفتت جريدة لوكورييه ابتداء من عامها الثانى إلى مسائل الرحلات التى قام بها بعض أعضاء البعثة الفرنسية وأمثالهم من الرحالة الفرنسيين كالرحلة التى قام بها أحد المحررين وشرح فيها طبيعة الأرض بين قنا والقصير [٣] وكالرحلة التى

---

(١) جريدة لوكورييه عدد ١١٤

(٢) جريدة لوكورييه عدد ٧٤

(٣) جريدة لوكورييه عدد ٣٣

وصفها فولنى Volney وهى تلخيص لرحلته السابقة فى الشرق التى قام بها قبيل غزوة الفرنسيين لمصر بسنوات ، وقد استغرق وصفها أنهراً كثيرة فى عددين متتاليين [١] وقد رفع فولنى هذا الموضوع تحية منه للجيش الفرنسى المظفر فى إيطاليا وافريقية وآسيا وتكريما لقائده بونابرت عضو المجمع العلمى ، وقد أمضى فولنى هذا المقال ويعتبر إمضاؤه من الامضاءات النادرة التى عثرنا عليها فى أعداد الجريدة .

ولم تغفل لوكوريه تصوير بعض الشخصيات الشرقية التى لها صلة قريبة أو بعيدة بالفرنسيين فذكرت موجزا تاريخيا للجزار حاكم عكاء وولادته بالبوسنة وبقائه ببلاده حتى ارتكب جريمة سرقة ثم هروبه إلى القسطنطينية وبيعه هناك بيع الرقيق وسفره مع مولاه إلى مصر وتسميته فيها بالجزار ثم عودته إلى القسطنطينية واخيرا استيطانه الشام وترقياته المضطردة التى بلغ فى نهايتها مرتبة حاكم عكاء [٢]

وقد لوحظ أن عنايتها بحوادث الديوان وأخباره تفوق عنايتها بأخبار المجمع العلمى ، تنقل ملخصات لجلساته ونشاطه وتنشر خطاباته الموجهة للفرنسيين وأهمها رسالة الديوان الودية التى أرسلها إلى نابليون لمناسبة تعيينه القنصل الأول [٣] كما كانت تترجم نداءاته وخاصة تلك التى لها صلة وثيقة بالدفاع عن الحكومة وحض الناس على طاعتها ، وإعاذتهم فيها بالله من الفتنة وطلبهم من الجماهير ألا تتبع الأشرار وأن تركن إلى الهدوء والاستقرار [٤]

(١) جريدة لوكوريه عدد ٣٣ ، ٣٤
(٢) جريدة لوكوريه عدد ٢٠٦
(٣) جريه لوكوريه عدد ٣١
(٤) جريدة لوكوريه عدد ٩١

ولم تنس لوكوريه أخبار فرنسا العلمية والأدبية بل عنيت بها فى كثير من فصول الجريدة ، كانت تذكر اجتماعات المجمع العلمى الفرنسى وطرفاً من بحوثه واهتمامه بالمجمع العلمى المصرى وتقديره لأعضائه ، ومن أخبار ذلك أن مجمع فرنسا قرر السماح لأعضاء مجمع مصر بمشاهدة اجتماعاته بعد عودتهم إلى بلادهم كما ذكرت ألوانا كثيرة من الأخبار التى لها اتصال بفن النحت والتصوير ونشاط جمعية أنصار الفنون فى هذا الباب ، والجدل العنيف الدائر فى فرنسا بين أنصار الأسلوبين الفرنسيين الجديد والقديم [1]

وكانت إدارة الجريدة تنشر أخبار ما اعتزمته حكومة الحملة من تنظيم مصر والنهوض بها إلى مرتبة الحياة الأوروبية ، فذكرت فى العدد الرابع والسبعين أنها ستنشىء « تلغرافات » مماثلة لما هو معروف فى أوروبا أو كتلك الأخبار التى تتصل بانشاء الأدارات والمصالح [2] . وخلاصة النظام الأخبارى أنه كان يقتضى نشر ثمانية أخبار خارجية ومثلها من الأخبار المحلية فى كل عدد تقريبا وفى وضع يكاد ينتظم الجريدة وصفحاتها جميعا .

ولم تفوت ذكر أخبار الوفيات الداخلية أو الخارجية المهمة ولم تقتصر أخبار الوفيات على فرنسا أو على مصر بل كانت تذيع نعى بعض العظماء فى أوروبا من رجال العلم والسياسة غير أننا نلاحظ أن أخبار الوفيات لم تنشر فى أعداد متفرقة بل كانت تنشرها الجريدة دفعة واحدة كلما اجتمعت لديها عدة أخبار منها [3] وكانت هذه الأخبار تستتبع أحيانا أن يرثى بعض الشعراء والأدباء أولئك الذين قضوا نحبهم فى مصر أو فى فرنسا كما رثى المواطن شامبرو الجنرال ديزيه Désaix [4]

---

(١) جريدة لوكوريه عدد ٩٤

(٢) جريده لوكوريه عدد ٢٥

(٣) جريدة لوكوريه عدد ٩٠

(٤) جريدة لوكوريه عدد ٨٩

بقيت ناحية مهمة من نواحى نشاط لوكوريه الصحفى ، ناحية الأعلانات التى حفلت بها الصحيفة فى كل عدد تقريباً ، وإذا أسقطنا من تقديرنا الأعلان الصادر من ناشر الجريدة عن ثمنها واشتراكها ومكان طبعها نستطيع أن نقرر أن أول إعلان صدرت به لوكوريه نشر فى العدد التاسع عن إدارة تكونت بسراى مرزوق بك بعابدين لتأجير المنازل للفرنسيين والمصريين .

ثم بدأت الأعلانات تترى على الجريدة فى شتى الموضوعات والأشياء ، وقد ازدحمت بها الصفحة الرابعة فهى مرة تعلن عن فقد نقود ضربت باللغتين الفرنسية والعربية [١] ومرة أخرى تعلن عن صانع ساعات الحملة الذى أعد ساعات بديعة على آخر نسج عرفته باريس [٢] أو كذلك الأعلان الذى نشره أحد التجار عن مصنعه الذى يقدم للجماهير الروائح العطرية والحاجيات التى ينشدها الأوروبيون [٣] أو أولئك الذين يعلنون « مواطنيهم بأنهم قد اتخذوا مكانا لبيع القبعات خلف مكان البريد » [٤] وغير ذلك من الأعلانات عن بيع النبيذ والقهوة والروائح العطرية

وكثيرا ما نشرت الجريدة إعلانات تكاد تكون رسمية حكومية كأعلانها عن مجلة العشرية المصرية وثمنها ومكان طبعها وبيعها وكأعلانها عن بعض الكتب العلمية ككتاب رئيس الأطباء (دجنت) الخاص بعلاج الجدرى باللغتين العربية والفرنسية [٥] أو عن بيع الورق المصقول بمطبعة الحكومة بالحى الفرنسى .

---

(١) جريدة لوكوريه العدد ١٣
(٢) « « « ١٩
(٣) « « « ١٦
(٤) « « « ٢٥
(٥) « « « ٢٨

وقد أفسحت جريدة لوكوريه صدرها للأعلانات التي تتصل بالحفلات الساهرة الراقصة وحفلات التمثيل وما إليها ، وكانت هذه الأعلانات كثيرة وخاصة السهرات الرسمية منها [١] على أن من أهم الأعلانات الملفتة للنظر اليانصيب الحكومى والدعوة له بين الوطنيين والفرنسيين [٢] .

ويعترضنا سؤال قبل الفراغ من بحث هذه الجريدة ، هل كانت تصدق دائماً فى رواية أخبارها ؟ الواقع أنها كانت صدى للحكومة وبوقا من أبواقها لاتستطيع أن يكون مجالها حرا فى التحرير أو نقل الأخبار فقد وصفت إحدى احتفالات الجيش بالعيد الجمهورى فزعمت أن المرح بلغ حدا عظيما فى نفوس الجماهير والفرنسيين منهم خاصة ، ويشهد ماليس Malus أن هذا الاحتفال كان« بلاحماسة » وكذلك يقول Jallois — وهما من الشهود العيان — أن الهتاف للجمهورية كان فاتراً جداً لم يتحمس أحد إلا بعد خطبة بونابرت ، فأن الجنود قبل هذه الخطبة لم يسمع لهم هتاف ، ومع هذا فهى تزعم أن الاحتفال بالعيد الجمهورى بلغ حداً عظيما من البهجة والحماس [٣] .

---

(١) جريدة لوكوريه العدد ٩٩

(٢) جريدة لوكوريه العدد ٢٥

(٣) هانوتو . تاريخ الأمة المصرية جـ ٥ ص ٣١٧ ، ٣١٨

مجلة لاديكاد اجبسين

لما فرغ بونابرت من إصدار جريدة لوكوريبه التفت إلى المجلة العلمية المسماة بالعشرية المصرية La Décade Egyptienne وهى صحيفته الثانية التى أنشأها فى مصر ، سميت باسم فترة من فترات الشهر التى عرفت عند اليونان فى أول الأمر (١) ثم عرفها الرومان من بعدهم (٢) واعتبرت فى العهدين ثلثا من الشهر ، فلما أقبلت الثورة الفرنسية تأثرت تأثراً عميقا بحياة اليونان والرومان فى معظم الأساليب السياسية والاجتماعية ، وأصبح تقليد هاتين الدولتين القديمتين قاعدة لأوضاع الحياة الفرنسية الرسمية فتقرر تغيير أسماء الشهور وتعديل دورة الزمن واصطناع تاريخ جديد يؤرخون به حوادثهم وأصدروا قراراً فى سنة ١٧٩٢ بأن يقسم الشهر إلى ثلاثة أقسام كل قسم منها يقال له العشرية تأخذ مكان الأسبوع من حياتهم الأولى (٣) .

كان بونابرت من صميم هذه الثورة التى غيرت كل شىء ، وكان من أشد الناس إعجاباً بماضى اليونان والرومان ، وأخذ يتأثر مثلهما فى حياته السياسية جميعاً ، فهو صاحب القنصلية وقنصلها الأول، وهو صانع الأمبراطورية فيما بعد وأمبراطورها

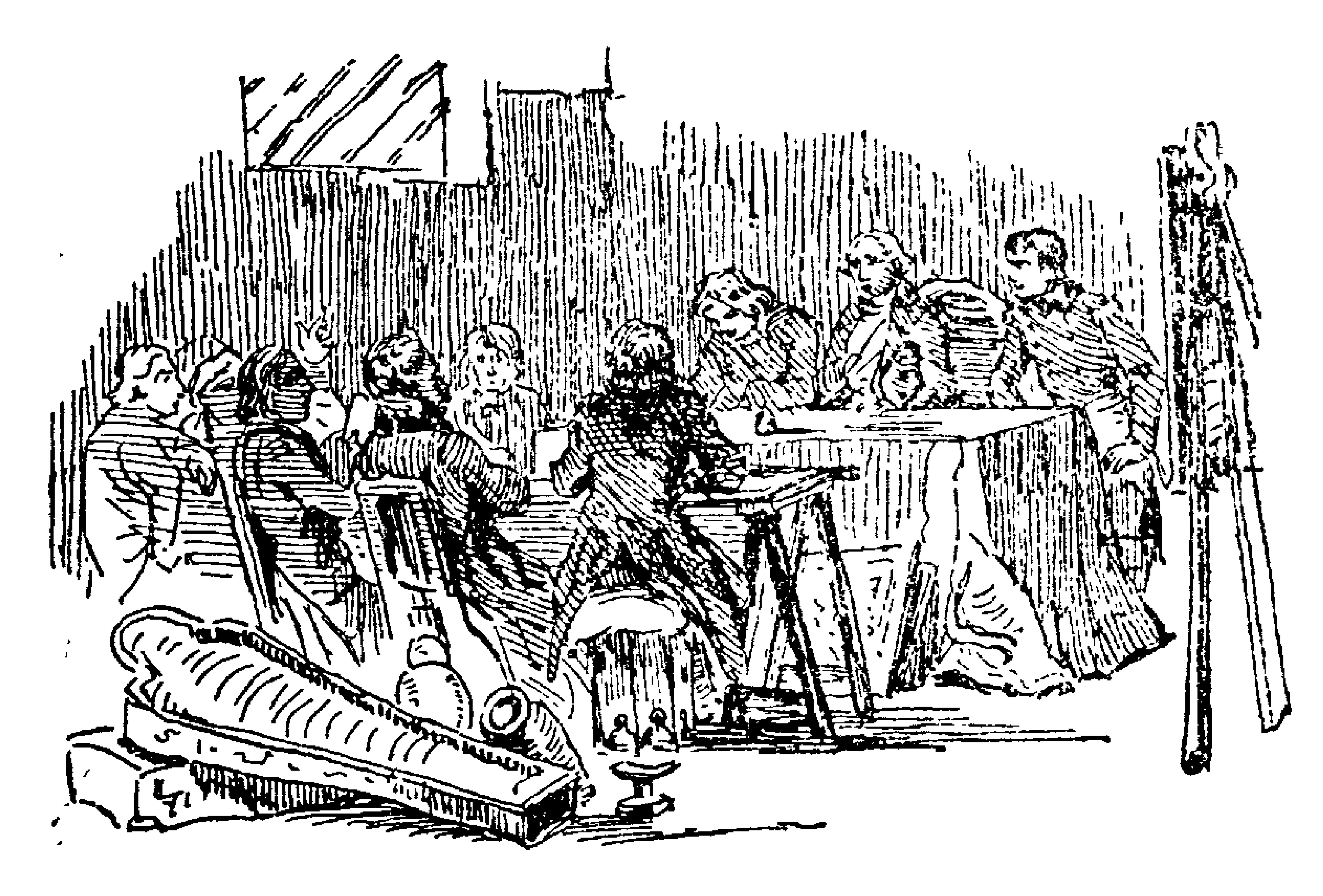
---

(١) ص ٦٩٧ جـ ٢ Larousse du XXe Siecle

(٢) ص ٢٣٠ Dictionnaire Ètymol gique de la Langue Française.

(٣) ص ٦٩٧ جـ ٢ Larousse du XXe Sicele

الأعلى؛ ومع أن بونابرت لم يكن مقترح اسم هذه المجلة إلا أن الحملة جميعا كانت مشغوفة بما شغف به رجلها ، فالاتجاهات الفكرية والالتفاتات الذهنية كان من شأنها فى ذلك الوقت أن تفرض هذا الاسم الغريب لصحيفة تصدر مرة كل عشرة أيام .



جلسة المجمع العلمى المصرى

وقد تقرر إنشاء لاديكاد فى أول اجتماع للمجمع العلمى المصرى حيث اقترح المواطن كافاريللى Caffarelli [1] أن يطلق عليها « العشرية المصرية » لتكون لسان حال المجمع العلمى المصرى ، وأخذ الأعضاء يتناقشون فى اسم الصحيفة

(١) كان كافاريللى من سلالة أسرة فرنسية نبيلة عرف المواقع الحربية مع كليبر خلال الحملة الإيطالية وفقد احدى ساقيه فى موقعة حربية على الراين وقد سجن أربعة عشر شهرا فى عهد الارهاب ثم عين عضوا فى المجمع العلمى المصرى فى حملة بونابرت ، وقد حاز رضاء القائد العام فأناط به الاشراف على الأدوات والكتب التى كانت فى حاجة اليها قبيل ابحارها من مارسيليا .
راجع فى ذلك Canivet. Rev. Interationale d'Egypte 1906

حتى تقرر أن يطلق عليها الأسم الذى اختاره كافاريللى [١] ولم يرض الاسم الجديد جميع الأعضاء بل حمل عليه بعضهم واعتبروه اسما مضحكا ، وكان على رأس هذه الحملة «دجنت» [٢] كبير الأطباء والذى كلف الأشراف على هذه المجلة وتبويبها وإخراجها على أنه لم يستطع أن يقوم بهذا التكليف لسفره فى حملة سوريا فاختير مكانه فورييه [٣] .

سبق إخراج لا ديكاد إعلان عنها فى جريدة «لوكورييه» [٤] مضمونه أن لا ديكاد جريدة ستظهر مرة واحدة كل عشرة أيام ، وأنها ستتخصص للمسائل الأدبية فحسب ، ولن يسمح بنشر أى خبر فيها أو مناقشة سياسية ، وستعنى فقط بكل ما له صلة بالنواحى العلمية والفنية والأدبية، وستبحث فى هذه الأمور على ضوء ما يقدم إليها من تقارير عامة أوخاصة ، وستراعى رعاية تامة فى بحوثها موضوعات التشريع المدنى والجنائى كما ستلتفت إلى الأوضاع الفكرية والاتجاهات الدينية ، وأن من أغراضها الأولى أن تقدم هـذه المعرفة لفرنسا وأوروبا معا ثم أخذ الأعلان يصف الصحيفة شكلا بعد أن وصفها موضوعا .

وجاء فى لا ديكاد فى أول عدد إعلان شبيه بالأعلان السابق فيه إضافات أهمها أن هذه المجلة « ستظهر مرة كل عشرة أيام وسيكون كل عدد مكونا من أربع صفحات بقطع الربع والاشتراك فيها قيمته تسعة فرنكات لكل مجلد أو لتسعة أعداد فى ثلاثة أشهر . وكل عدد يباع على حدة يدفع ثمنه فرنكا أو ثمانية

---

(١) شارل رو ص ١٤٩

(٢) دجنت ص ٤٦

(٣) شارل رو ص ١٥٠

(٤) راجع لوكورييه عدد ٣٥

LA DECADE

EGYPTIENNE,

JOURNAL LITTÉRAIRE ET D'ÉCONOMIE POLITIQUE.

Formation de l'Institut d'Egypte.

Le Général en Chef Bonaparte, par un arrêté en date du 5 fructidor, an 6, a ordonné qu'il serait établi au Kaire un Institut pour les Sciences et les Arts. Cet établissement doit principalement s'occuper :

1.° Du progrès et de la propagation des lumières en Egypte;

2.° De la recherche, de l'étude et de la publication des faits naturels, industriels et historiques de l'Égypte.

L'Institut d'Égypte est divisé en quatre sections qui sont celles de Mathématiques, de Physique, de Littérature et beaux Arts, et d'Économie politique. Chaque section est composée de douze membres. Dans le moment actuel, celle de Mathématiques est la seule qui soit complette. Il y a deux places vacantes dans celle de Physique, six dans celle d'Économie politique, et quatre dans celle de Littérature et beaux Arts.

N.° 1. 1.er *trimestre*, AN 7. B

مجلة لا دیکاد اجبسين

وعشرين نصف فضة ، وفيما يختص بالاشتراك تكون المخابرة موجهة إلى مدير المطبعة الأهلية بالقاهرة بميدان الازبكية »

صدر العدد الأول من العشرية المصرية فى أول أكتوبر سنة ١٧٩٨ (فانديمير سنة ٧ جمهورية) بمقدمة طويلة حررها المواطن تاليان Talien قال « أكثر حكم الحرية فى فرنسا من عدد الجرائد الدورية ولفتت الحوادث الشاذة ومناقشة المسائل الكبرى والمشكلات الخطيرة أوروبا جميعا لا فرنسا وحدها . وأصبح كل فرد يريد أن يعرف حتى التفاصيل الصغيرة لهذه الثورة العجيبة التى غيرت معالم الامبراطورية الفرنسية ، وقد أقبل الناس بشغف على قراءة الصحف فى أول الأمر ثم أرادت الطوائف والأحزاب أن تسيطر على الجماهير بالسيطرة على هذه الصحف فأذا هذه الجرائد الحزبية صدى للقذف وأصبحت بعد ذلك ميدانا تقاطع فيه كل فرد بالخصومة فى شدة وعنف .

وفى وسط تصادم النوازع والأهواء ، وهذا الانقلاب وهذا النسيان الذى يكاد يكون عاما لكل الأفكار الحرة والمتزنة أهملت العلوم والفنون طويلا ثم شعر الناس أخيرا بضرورة التخلص من هذه الحال وابتدأت بعض الشخصيات الممتازة بعلمها وحبها للآداب تعمل على إعطاء الفلسفه المكانة التى ينبغى ألا نفقدها وعلى إثر هؤلاء المواطنين الشجعان يجب أن نسير » .

ثم يتحدث الكاتب عن علماء الحملة وغزو مصر وأن الفتح لم يعدهدما وتقويضا. ورغبة ملحة فى الذهب والحصول عليه ثم يعقب على مجلة لا ديكاد « والصحيفة التى نعمل على إصدارها ستكون أدبية خالصة ولن يكون لأى خبر أو أية مناقشة

سياسية مجال فيها . أما الموضوعات التى تتعلق بالعلوم والفنون والتجارة فى نواحيها العامة والخاصة ، والتشريع المدنى والجنائى والنظم الأدبية أو المدنية فستجد صدراً رحباً لدى الصحيفة »

ثم يمضى الكاتب مبينا النقص الذى احتوت عليه كتب السابقين إذ « لم يجب الرحالة إلا على شواطىء النيل وبعض الأقاليم المجاورة ، وقد لقوا صعوبات جمة فى رحلتهم مصدرها تطير الأهالى وقلة ثقتهم واختلاف اللغة والقلق الذى يسببه وجود الأجانب فى نفوس الحكام المستبدين الذين يلون أمر هذه الأقاليم ، أما اليوم وقد أصبحنا مسيطرين على مصر جميعا فمن السهل علينا أن نبحث العادات وأن نتعرف فى شىء كثير من العمق على طبيعة المناخ ونوع المنتجات الأقليمية وحالة الزراعة كما هى الآن والتحسينات التى يمكن أن نقضى فيها بأمر ما ، ونستطيع فى ثقة واطمئنان أن نزور الآثار القديمة وأن نرقب فى شىء من العناية عجائب وخصائص الطبيعة وعلى هذا النهج ستصحح الأخطاء الناشئة عن الجهل (يقصد جهل الرحالة) والمبالغات الناتجة عن التحمس (تحمس الكتاب السابقين)

« وإلى هذه المباحثات ذات الصبغة العامة سنضيف مايعنى الأفراد معرفته فيما يختص بحفظ نوعهم ، ومن هذه الأشياء ستكون الملاحظات الواضحة المرتبة والدقيقة عن الحرارة وطبيعة الأمراض المختلفة التى تشترك فيها كل الأجواء ، وسيضاف إلى هذه الأبحاث النافعة معلومات عن الوسائل التى يمكن الحصول عليها للتخلص من هذه الأمراض ، وعلى هذا النحو ستعالج الحالة العامة لكل شخص تظهر عليه عوارضها وفى نفس الوقت ستستخدم كل ما تقدمه الفنون من مساعدة لشفائه .

« وسيكون لكل شخص الحق فى أن ينشر فى هذه الجريدة كل ما هو نافع فى ميدان العلوم ، فأن بعض الظواهر وبعض الآثار وبعض غرائب الطبيعة من الممكن أن تكون قد غابت عن التفات أبرع الملاحظين ومن المناقشة واختلاف الرأى تنتج دائما الحقيقة ، وهذا ما نبحث عنه ، وكل ما هو غريب عن الموضوعات الممتعة سيصرف النظر عنه حتما ، فهى (يقصد لاديكاد) قاعة حبية للمحاضرات وليست ميدانا للخصومة بين المواطنين ، فالفنون الجميلة صديقة للحرية بيد أنها عدوة للأباحية »

تعتبر هذه الافتتاحية برنامجا مفصلا ستنهج عليه لاديكاد اجبسين فى سياستها ، ويلاحظ أن أظهر ما فى هذا البيان السالف الذكر أنه حدد تحديداً صريحاً كل ما سينشر فيها من موضوعات وخاصة ما اتصل منها بالمسائل السياسية فقد كان الكاتب صريحاً فى هذه الناحية غير أنه واضح من خلال السطور أن العناية بالعلوم والفنون ستستغرق صفحات المجلة جميعاً .

صدر العدد الأول بهذه المقدمة كما رأينا وقام بطبعه المواطن مارك أوريل فى مطبعته الخاصة كما جاء ذلك فى إعلان جريدة لوكوريه[١] وقد ذكر شارل رو فى كتابه « بونابرت حاكم مصر » أن مارك أوريل أصدر ثلاثة أعداد فقط من لاديكاد وأنه ابتداء من ٢٤ نوفمبر سنة ١٧٩٨ أصدرت المطبعة الأهلية العدد الرابع والأعداد التالية [٢] واتفق معه فى هذا الاتجاه كانيفيه فى مجلة المجمع العلمى المصرى .

---

(١) جريدة لوكوريه عدد ٣٥

(٢) شارل رو ص ١٥١

ونحن نجيز هذا الرأى لو أن الكاتبين بينا لنا فى وضوح وفى جزم أن العدد الرابع والأعداد التالية من العشرية المصرية طبعت بالاسكندرية حينما كانت هناك المطابع الرسمية قبيل انتقالها إلى القاهرة لأن بونابرت لم يكن مرتاحا لنشر الصحيفتين فى مطابع أوريل لكثرة الأخطاء المطبعية وسقم حروفها . ولكنهما لم يشيرا إلى أنها طبعت ابتداء من العدد الرابع فى الاسكندرية ونحن نعلم أن المطابع الرسمية انتقلت إلى القاهرة فى أوائل شهر يناير سنة ١٧٩٩ وأنها استعدت للعمل فى اليوم الذى صدر فيه تنظيم إدارة المطبوعات وأنها فى القاهرة وحدها كان يطلق عليها اسم « المطبعة الأهلية » وظاهر أن مجلة لاديكاد صدرت فى أول اكتوبرسنة ١٧٩٨ وأنها بين الفترة الأولى من صدورها واستعداد المطبعة الرسمية للعمل فى القاهرة فى منتصف شهر يناير سنة ١٧٩٩ كان قد صدر منها عدة أعداد تتجاوز الأعداد المذكورة فى المرجعين السابقين ، ومعنى هذا أن مارك أوريل قد طبع من مجلة العشرية أكثر من ثلاثة أعداد أوأنه لم يطبع أكثر من هذه الأعداد الثلاثة وتولت (المطبعة الشرقية والفرنسية) طبعها فى مدينة الاسكندرية لا فى مدينة القاهرة كما يزعم الكاتبان المذكوران .

نعود إلى مناقشة الافتتاحية والموضوعات التى نشرت فى المجلة ونطبقها على ماجاء فى مقالة تاليان فيتبين لنا أن المجلة لم تفسح صدرها لأى موضوع غير ما قدمه لها أعضاء المجمع المصرى وأصبحت لاتجد بحوث غير هؤلاء الأعضاء مجالا فيها ، ويرجع ذلك إلى سببين أولهما أن المجمع كان قادراً على تغذية المجلة بكل ما تريد ، كما أن مدير الجريدة أو القائم بتحريرها لم يكن يستطيع مواجهة ما يقدم إليها من

موضوعات خارجية وهو مزدحم فى الوقت نفسه بآلاف المسائل الأخرى[1]

وظهر بعد مراجعتها أن موضوعات العلماء وبحوثهم التى نشرتها لم تكن نصوصاً حرفية لما صدر عنهم فى أثناء بحوثهم ودراساتهم بل هى ملخصات قصيرة لما نشره أو أذاعه علماء الحملة فى مجمعهم العلمى ؛ وبذلك أخلت المجلة بما وعدت فى افتتاحيتها وانقبض صدرها عن أن يحتمل موضوعا خارجيا وضاقت صفحاتها لنشر موضوع مفصل ، ومضت على هذا الغرار تنكمش رويداً رويداً حتى أصبحت سجلا للملخصات يرسلها المجمع العلمى المصرى ثم مضت تصدر فى كل شهر مرة ابتداء من (٣ فريكتيدور سنة ٦ جمهورية إلى ٢١ فريكتيدور سنة ٨ جمهورية)

أهدى المجلد الأول للجنرال بونابرت واحتوى فى بعض أعداده على قليل من الاخبار التى تتصل بتأليف المجمع العلمى وكثير من الموضوعات المختصرة لما نشره أو بحثه أو ألقاه أعضاء المجمع كالموضوع الذى تقدم به أحد العلماء عن دراسة الطريق بين القاهرة والصالحية كما نشرت تقريراً مفصلا بعض الشىء عن الواحات المصرية قدمه المواطن « فورييه » [2] وأذاعت مذكرة أخرى عن بحيرة المنزلة للمواطن اندروسى Andreossy [3] استغرقت كثيراً من صفحات المجلة ، ونشر هذا المجلد كثيراً من البحوث الممتعة حقاً عن الجياد العربية وأصلها وكالمناقشة التى دارت حول الآثار المصرية ودراسة المشاريع المختلفة كأنشاء مدرسة للرسم فى القاهرة وأدارة للمسائل الزراعية وصناعة القطن والتيل .

---

(١) شارل رو بونابرت حاكم مصر ص ١٥١

(٢) مجلة العشرية المصرية مجلد ١ ص ١٥٠

(٣) مجلة العشرية المصرية مجلد ١ ص ١٨٢ ، ١٩٧

ولوحظ فى هذا المجلد أنه حين ينشر بحثا ما يتصل بأسماء الاماكن [1] والاشياء [2] نجد هذه الأماكن والأشياء مكتوبة باللغتين العربية والفرنسية ، ولقد كان للترجمة فى هذا المجلد شأن لا بأس به إذ ترجم مارسيل فاتحة القرآن [3] نشرها باللغة العربية ونقلها إلى اللغة الفرنسية نقلا لا بأس به يدل على فهم لهذه اللغة .

قطعت الافتتاحية عهدا صريحاً بالابتعاد عن السياسة وموضوعاتها على أنها أخلت بوعدها هذا فنشرت لنقولا الترك بن يوسف اسطنبولى شعرا سخيفا ركيكا عن الغزوة الفرنسية وجيشها وقائده ننقل بعضه هنا لترى إلى أى حد شغلت صفحاتها بالسياسة وإن كانت شعراً وقد نشر هذا الشعر باللغتين العربية والفرنسية :—

لله عصر قد زهـا	فلك السعادة فيه دار
وجمال كوكب دولة الـ	جيش الفرنساوى أنار
يا حسنها من دولة	بالافتخار لها اشتهار
الشهم بونابرته	أسد الوغا ذو الاقتدار
مولى شديد البطش من	عاداه حل به الدمار
صف الصفوف بحكمة	وفنون حرب واختبار

ثم يعقب الشاعر على ذلك بوصف مفصل لاحتلال الاسكندرية وغيرها من بلدان مصر منه :

(١) مجلة المشرية المصرية مجلد ١ ص٢٧٦
(٢) مجلة المشرية المصرية مجلد ١ ص٣٦١
(٣) مجلة المشرية المصرية مجلد ١ ص١٢٧

وملأ الأراضى عسكراً حول الكنانة واستدار
وسطا بشدة عزمه على جيوش الغزغار

وبذلك خرجت عن قاعدتها فى إغفال الموضوعات الخارجية بيد أن هذا الموضوع الذى نحن بصدده لايتفق مطلقا مع ماكانت تنشره من بحوث قيمة حقاً، وسواء قررنا هنا أن قصيدة نقولا فيها من السياسة أو من الشعر شيء فهى على أية حال تعتبر الموضوع الوحيد المنشور فى المجلة بعيدا عن أصحابها الذين لم يشاركهم فى تحريرها أحد من الخارج.

ثم قدم المجلد الثانى إهداء للجنرال كليبر باعتباره قائدا عاما للجيش الفرنسى فى مصر وحملت الصفحة الأولى البيان الآتى: «إن هذه الصحيفة التى كان فى نية الناشرين أن يعطوها اسما آخر غير «العشرية» لو أنهم كانوا أصحاب الرأى فى هذا لن تظهر من الآن فصاعدا إلا مرة واحدة فى الشهر».

ويكاد يكون هذا المجلد صورة ناطقة للمجلد الأول فى الشكل والموضوع إلا أن العدد الثانى منه تخصص لنشر أخبار الأجواء المناخية [1] والملاحظ على موضوعات هذا المجلد أن ما نشر فيه من بحوث كان يتجه اتجاها عمليا، وقامت موضوعاته على دراسات شخصية استغرقت وقتا من الزمن فى البحث والتنقيب عكس ماكان عليه المجلد الأول حيث عنوا بالموضوعات عناية نظرية بحته، فنجد هنا دراسات مطولة بعض الشيء عن الصحة والزراعة وتخطيط المدن كمدينة القاهرة كما اهتموا بمدن الوجه البحرى التى قدم عنها تقريراً نويه Nouet ثم رأينا باللغة العربية فصولا هنا وهناك كأمثال لقمان الحكيم وترجمتها بقلم مارسيل، وقد

(١) مجلة العشرية المصرية ج ٢ ص ٢٠٩ — ٢٢٥

شغلت هذه الترجمة تسع صفحات من هذا المجلد ، وقد شرح المترجم أهمية حكم لقمان لدى الشرقيين وتقديرهم لها بعد أن ذكره الله فى القرآن قائلا « ولقد آتينا لقمان الحكمة » ثم « وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه . يابنى لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم » ثم أخذ الكاتب يعلق على هاتين الآيتين [1] .

ويعتبر المحصول الذى تقدم به المجلد الثانى محصولا قليلا بالقياس الى المجلد الأول ، وذلك لأن المجلة لم تعد تظهر إلا مرة فى كل شهر كما أنها أطالت فيما تنشره من ملخصات الموضوعات ولو أن هذا المجلد احتوى على ثلاثمائة صفحة كسابقه.

ثم اقتضى الحال أن يهدى المجلد الثالث إلى الجنرال « منو » القائد العام وصدره الناشرون بما يأتى « لقد حافظنا لهذه الصحيفة التى بدأنا إصدارها واستمررنا فيه وسط استعار الحرب على اسمها القديم على الرغم من أننا نبهنا فى رأس المجلد الثانى أنه غير مناسب لها تمام المناسبة ، ولكن سيظهر فى المستقبل كل مجلد مجزءاً إلى ثلاث كراسات كل منها مائة صفحة تقريبا » ولكن إحدى كراسات هذا المجلد بلغت مائة وست عشرة صفحة .

وغاية القول فى هذا المجلد الأخير أنه شديد الشبه جدا بالمجلدين السابقين ، فيه مذكرات كثيرة أهمها مذكرة المواطن جيرار Girard عن الزراعة والتجارة فى الصعيد [2] وتقارير مطولة أهمها التقرير الذى تقدم به أحدهم للجنرال بونابرت عن صناعة الخبز فى مصر [3] ومن ألطف ما نشره هذا المجلد تنبيه الدكتور دجنت

---

(١) مجلة المشرية المصرية ج ٢ ص ١٩٢ — ٢٠٠

(٢) مجلة المشرية المصريه ج ٣ ص ٢٧

(٣) مجلة المشرية المصرية ج ٣ ص ١٢٩

باللغة العربية وترجمتها باللغة الفرنسية [١] نصه « هذا تنبيه فيما يخص داء الجدرى المتسلط الآن ، وذلك بشرح موجه إلى أرباب الديوان بمصر القاهرة من قبل السيتوين — أى المواطن — دجنط رئيس الأطباء فى الجيش الفرنساوى بجهة الشرق فى (٢٠ من شهر شعبان سنة ١٢١٤ هـ) بمصر القاهرة » وقد نشرت الجريدة رد الديوان على هذا التنبيه باللغة العربية مترجمة إلى اللغة الفرنسية [٢] نصه « من محفل الديوان العالى بمصر المحروسة . خطابا الى السيتوين (كذا) الخواجة دجنط رئيس الأطبا الفرنساوية جعل الله الخير على يديه . أما بعد الدعا لكم بخير فأنه سابقا وصلت من بينتك وهى الرسالة التى عم نفعها بين الخاص والعام من أهالى مصر من جهة الرسالة والكتاب الذى اللفتوه (كذا) فى علاج الجدرى وأسبابه وإصلاح غذايه وتدبير أدويته وقطع ضرره . وقد شكر الناس جميعا كمال عقلكم وحسن صنيعكم وعلموا مزيد اتقانكم فى علم الحكمة والطب وفرح الناس جميعا بهذا الكتاب وادخروه عندهم ليحفظوا أنفسهم من هذا الداء العضال الكثير المنتشر فى إقليم مصر وكثرة دعوات الناس الصالحة لكم وشكروا إحسانكم ومعروفكم ، وعلموا أن الفرنساوية لهم خبرة ومعرفة واتقان بعلم الطب ، وكان السبب فى اعتراف الناس بذلك هو هذا الكتاب ولا تقطعوا عن الناس معارفكم وعلومكم ، قال النبى صلى الله عليه وسلم . خير الناس من نفع الناس ، من علم علما وعه حصل له الثواب الكثير والأجر العظيم من الله والسلام عليكم ورحمة الله »

وفى تبادل هذين الكتابين ونشرهما فى مجلة أدبية يتبين إلى أى حد عنى

---

(١) مجلة العشرية المصرية جـ٣ ص ١٩٦

(٢) مجلة العشرية المصرية جـ ٣ ص ١٩٧

الفرنسيون بنشر كل ما له صلة بتمجيدهم فقد خرجوا على ما وعدوا فى مقدمة تاليان التى أشارت الى بعد المجلة عن الأخبار أو السياسة ، ولا شك أن رد الديوان على دجنت وشعر نقولا الترك فى المجلد الأول يؤكد أنها لم تخل من موضوعات خارجية كما رأينا ذلك فى نشرها بعض الأخبار الفينة فالفينة وإن كان ما ضربناه من مثل نادرا فى صفحاتها الكثار .

كان نشاط لاديكاد فى عهد الجنرال منو قاصرا عن أن يجارى نشاطها فى عهد بونابرت وكليبر ، فوقفت الجريدة عن نشر بحوث جديدة للعلماء ، ذلك لأن منو جافى العلماء وأثقل عليهم وانصرف عن تشجيعهم ولم يتأثر خطى بونابرت وكليبر حتى إن بعضهم التمس ألا يضيع وقته وقام بسياحة فى صعيد مصر لعله يستفيد شيئا (١) ويؤيد هذا الرأى أن معظم البحوث التى نشرت فى المجلد الثالث كانت من آثار العهد السابق فى أيام كليبر وبونابرت وإن كان هذا المجلد صدر بأهداء الى منو ، وقد يلتمس العذر للجنرال منو ، فقد كانت الحروب المتصلة بينه وبين الأتراك والأنجليز سببا فى انصرافه عن تأييد العلم والعلماء ومخالفة خطة سابقيه فى هذه السبيل كما أنه لا يخفى علينا أن كثيرا من قواده أعضاء فى المجمع العلمى قتل بعضهم فى ثورة أو موقعة وحرمت ظروف الحرب غيرهم من أداء الوظيفة العلمية التى ارتبطوا بها وقت السلم ، ولعل للحالة المالية دخلا فى هذا التوقف الذى طرأ على نشاط هذه المجلة .

غير أنه فى مقدونا بعد هذا كله أن نقول إن مجلة (لاديكاد اجبسين) كانت

---

(١) هامش ١٤٩ Reynier. De l'Egypte aprés la bataille d'Héliopolis et considérations générales sur l'organisation physique et politique de ce pays .

سجلا عظيما لمجهود العلماء والأدباء من الفرنسيين فى مصر وأنها قيدت أفضل البحوث وأمتع الموضوعات التى تتصل بحياة المصريين وبلادهم وأصبحت بذلك مرجعا وحجة لنشاط البعثة من الناحية العلمية ، وقد بقيت محتفظة بقيمتها التاريخية حتى نشر ديدو Didot عضو للمجمع العلمى مجلداته الأربعة المستفيضة بموضوعات شديدة الشبه بما سطرته العشرية المصرية وجاءت هذه المجلدات الأربعة بعنوان « مذكرات عن مصر » وقد صدرت بين العام الثامن والحادى عشر من تاريخ الثورة [١] .

وتعتبر جريدتا لو كوريه دوليجبت ولاديكاد اجبسين الجريدتين اللتين نشرتا فى مصر خلال الحملة الفرنسية وكان لهما فى تاريخ مصر وفى تاريخ الحملة نفسها أثر عظيم عرفته أوروبا كمعرفة الفرنسيين له إذ أنهما كانتا تطالعان فى أوروبا أيضا [٢] مما تهريبا وإما عن طريق الأميرالية الأنجليزية المحاصرة للأسكندرية التى كانت ترسل بها مجلة لاديكاد بأمر من بونابرت [٣] .

---

(١) شارل رو بونابرت حاكم مصر ص ١٥٢

(٢) ص ١ Munier. La Presse En Egypte

(٣) مراسلات نابليون . وثيقة رقم ٣٦٣٢ - ٥

جريدة التنبيه

وزعت جريدة التنبيه L'Avertissement رأى المؤرخين وفرقت إجماعهم ، فنسبها بعضهم إلى بونابرت اعتمادا على ميوله الصحفية وللطبعتين العربيتين االتين حملهما معه ، فقد كان الرجل من الناس الذين يقدرون الصحافة حق قدرها ويعلم خطرها وأثرها فى توجيه الرأى العام لذلك لم يكن من المستبعد أن يكون قد فكر فى إنشاء صحيفة عربية تذيع أغراضه ونواياه وقد رأيناه شديد العناية بأذاعة النداءات العربية بين الحين والحين ، وهذه كانت تقوم مقام الصحف على غير ميعاد بيد أن ظروف الجنرال بونابرت لم تسمح له بأن يحور هذه النداءات بحيث تتصل وتتسع لأغراض أخرى وتصبح صحيفة يقرأها الناس فى ميعاد معلوم ؛ وكذلك لم يوات العمر الجنرال كليبر حتى يفكر مثل هذا التفكير ، فلما تولى عبد الله جاك منو حكم مصر من بعدهما وكان قد أشهر إسلامه وأذاعه بين المصريين وتزوج منهم وجد بين السكان وغيرهم من ذوى الأغراض من يقول الأباطيل عن الفرنسيين فاستوضح رأى مواطنيه من قادة الحملة فى دفع هذه الأباطيل وإنشاء جريدة تردها عنهم فكتب إليه كبير الأطباء الدكتور دجنت بتاريخ أول (فريكتيدور من السنة الثانية للجمهوريه) يحدثه بأن فكرة إنشاء جريدة عربية شغلته كثيرا ، ويوضح له أن تنظيم مشروع مثل هذا من شأنه أن يلقى نورا على خدمات الفرنسيين لمصر ، ويوضح موقفهم أمام الوطنيين ويكبت صدور دعاة السوء ، ويعرض عليه أن يقوم بأصدار هذه الصحيفة جماعة من الفرنسيين والمصريين تلحق بالحكومة



الجنرال عبد الله منو

رأسا وتتبع مشورتها وترفع الغشاوة التى تخيم على عيون الناس وتدلهم على طريق الأصلاح الذى يراه المصريون خرافة من الخرافات [١]

قرأ منو هذا الكتاب ويظهر أنه تأثر به فاهتم للأمر اهتماما خاصا وأصدر فى (٥ فريمير من السنة التاسعة للجمهورية) ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٠٠ مرسوما بأنشاء جريدة « التنبيه » وننشر هنا نص هذا المرسوم .

« يأمر منو القائد العام بما ياتى :

« ستطبع فى القاهرة صحيفة عربية الغرض منها نشر أعمال الحكومة الفرنسية فى جميع أنحاء القطر المصرى ، وتأمين السكان من التسرع فى الحكم ومن القلق الذى قد يعمل البعض على بعثه فيهم ، وأخيرا لتحقيق الثقة وتمكين الألفة اللتين تتوطدان أكثر فأكثر بين هذه البلاد وبين الفرنسيين ، وستحمل هذه الصحيفة اسم « التنبيه » وسيشرف عليها الشيخ سيد اسماعيل الخشاب ، وستطبع فى المطبعة الأهلية لكى توزع فى القاهرة والأقاليم وستسلم عدة نسخ من هذه الجريدة لرؤساء القوافل المختلفة التى تفد إلى القاهرة . ولن تفوت فرصة فى إيصالها إلى اليمن والشام وداخل إفريقية بالسبل التى فتحتها التجارة . ولكى لا تضمن هذه الصحيفة أى شىء يسىء إلى تقاليد الشرق المدنية والدينية سيحاط العلماء الذين يتكون منهم الديوان علما بكل ما ستحتوى عليه الصحيفة وسيكون من حقهم إجازة النشر أو رفضه .

ستقسم التنبيه أو صحيفة بلاد العرب إلى أربعة أبواب ، يحتوى الأول منها على

---

(١) ص ١٦١ Rigault. Le Général Abdallah Ménou et la derniére phase de l'expédition d'Egypte.

أعمال الحكومة الفرنسية ، والثانى على أعمال الديوان ، ويختص الثالث بأذاعة الحوادث العامة فى أوربا أو آسيا والتى قد يهم سكان مصر معرفتها ، وسيعرف القسم الرابع بعض الأساليب التى تتعلق بالفنون والعلوم ، وستضاف بعض المقالات عن الأخلاق وعن المبادىء العامة التى من شأنها أن توجه كل حكومة صالحة » .



فوريه

« سيراقب تحرير ونشر هذه الصحيفة المواطن فوريه رئيس إدارة العدل فى مصر وسوف يمهر كل أصل عربى بتوقيع المترجم الأول للديوان ، ولا يمكن أن يسلم للطبع إلا بعد تصريح من رئيس إدارة العدل ، وستحفظ هذه الأصول فى سجل الديوان وترسل الصورة إلى المطبعة ، وأنه محظور قطعاً فى نشر هذه الصحيفة الابتعاد عن الحدود التى رسمت » [١]

ظاهر من هذا الأمر أن الاهتمام باصدار هذه الجريدة كان يتصل اتصالا مباشرا بالحالة المضطربة التى تقوم عليها علاقة الفرنسيين بالمصريين لذلك صدر الأمر

(١) وثيقة رقم ٣١ ص ٣٧٥ — ٣٧٧ Rousseau. Kléber et Ménou en Egypte.

بانشائها «لتأمين السكان من التسرع فى الحكم » على تصرفات الحكومة . كما أن من أهم أغراضها أن تصون الناس من « القلق الذى قد يعمل البعض على بعثه فيهم » فالفكرة فى إنشاء التنبيه هى الرغبة فى أن يعرف المصريون خاصة والشرقيون عامة أعمال الحكومة الفرنسية فى إدارة مصر كما أنه من أغراضها تهيئة نفوس المصريين بما تنشره من عظائم الأمور [١] على أن الآمال التى علقها الجنرال عبد الله منو على إصدار هـــذه الجريدة لم تتحقق ، ذلك أن أمره بأنشائها « بقى معطلا » ولم يعمل به [٢] .

وقد شغلت هذه الجريدة كثيرين من الذين كتبوا عن الصحافة المصرية فى عهد الحملة سواء من الفرنجة أو الشرقيين ، فبينما يذكر شارل رو فى كتابه (بونابرت حاكم مصر) اسمها فحسب دون أن يعلق عليها بحرف [٣] نرى كانيفيه يهمل الحديث عنها إهمالاً لا نشك فى تعمده فى مجلة المجمع العلمى المصرى ١٩٠٩ ثم يطالعنا جيس فى نفس المجلة سنة ١٩٠٧ وهو يشرح (تاريخ الطباعة فى مصر) بحديث عن جريدة التنبيه فيقول إن منو أمر بطبعها فى ١٥ فريمير Frimaire ٩ جمهورية - ٦ ديسمبر ١٨٠٠ - طبعت باللغة العربية فى المطبعة الأهلية ، وكان يحررها الشيخ سيد اسماعيل اررشاب - يقصد الخشاب - محرر الحوادث اليومية فى الديوان لتوزع فى القاهرة والأقاليم ، وكان الجهد يبذل لتوزيعها فى اليمن وسوريا وإفريقية

---

(١) ص ١١٧ ج ٢ Galland. Tableau de l'Egypte Pendant le Séjour de l'Armée Française.

(٢) ص ١٦١ Rigault. Le Général Abdallah Ménou et la derniére phase ....

(٣) شارل رو بونابرت حاكم مصر ص ١٥٣

الداخلية ، وكان ينبغى أن تقدم لعلماء ديوان مصر الذين كان لهم حق إجازة النشر أو رفضه ، وعهد إلى المواطن فورييه أمر تحريرها ونشرها وهو الذى كان فى ذلك الوقت رئيس إدارة العدل فى مصر [١]

وقد لاحظنا أن جيس قطع بظهور الجريدة ولم يكلف نفسه عناء البحث ، بل قرأ مرسوم منو بنشرها فتخيـــل أن المرسوم قد وضع موضع التنفيذ وأن الصحيفة طبعت وروقبت ونشرت فى مصر وبلاد أخرى ، وقد أثبت التاريخ أن الحملة الفرنسية خسرت موقعة سوريا وهى احدى البلاد التى تقرر توزيع التنبيه فيها ، وأن خصوم منو من الأنجليز والأتراك قد أطبقوا على الجيوش الفرنسية فى مصر وحاصروها فعزت مواصلات اليمن وافريقية الداخلية ، وأن الحكومة القائمة فى البلاد لم يكن قد استتب لها الأمر بعد لتصدر صحفاً تذاع هنا وهناك ، وهى حكومة تختنق بالحصار والثورات والافلاس السياسى والمادى .

حقا إن منو كان راغبا أشد الرغبة فى استعمار مصر والبلاد التى جاء ذكرها فى مرسوم الجريدة ، وكان يرجو أن تكون مصر مركزا لهذه المستعمرات ، غير أن مشروعاته جميعا ولدت ميتة ، ومن بينها مرسوم التنبيه .

وقد أخطأ Geiss فى موعد المرسوم فزعم انه يوم ٦ ديسمبر سنة ١٨٠٠ وصحة الموعد كما رأينا ٢٦ نوفمبر من نفس السنة ، كما أننا لاحظنا فى مقال الكاتب المذكور أنه صور رسوما شتى للمطبوعات التى أخرجتها مطابع الحملة فى مصر سواء باللغة العربية أو الفرنسية ، فلو انه استطاع أن يحصل على جريدة التنبيه لنشر لها صورة كزميلتيها لاديكاد ولو كورييه ، وهى أهم كثيرا من الحروف الهجائية العربية والمنشور الصادر فى ٦ بريمير Brumaire سنه ٩ جمهورية .

(١) ص ١٤٩ Geiss. Bull. de l'Inst. Egyp. 1907

ثم نعود إلى مؤرخى الصحافة المصرية من الشرقيين فنجدهم فريقين ، فريقاً يزعم أن الجريدة وجدت ويسميها بما يشاء من أسماء ويحدد وقت ظهورها على ما يشتهى ويريد ، فطرازى ومن تبعه يزعمون أن الجريدة ظهرت واتخذت اسم « الحوادث اليومية » والخلط هنا واضح بين التنبيه ولوكوربيه ، ثم يزعمون أن بونابرت هو الذى أصدر الأمر بأنشائها ، وأن سراجها انطفأ « لدى انسحاب العساكر الفرنساوية من مصر »[١] وفريقاً آخر يتفق معنا اتفاقا صريحاً ، وفى مقدمة هؤلاء الرافعى[٢] ثم كمال الدين جلال بيد أنه يزعم أن الجبرتى أشار إليها وتحدث عنها[٣] ومصدر هذا الاضطراب فيما نعتقد أن الكاتب لم يدرس الديوان المصرى فالتبست عليه وظيفة الخشاب فيه .

لم يذكر الجبرتى — وهو عمدتنا فى تاريخ الخشاب — لم يذكر قط تلميحاً أو تصريحاً أنه كان محرراً لجريدة عربية إذ قال : « ولما رتب الفرنساوية ديوانا لقضايا المسلمين تعين المترجم فى كتابة التاريخ لحوادث الديوان وما يقع فيه من ذلك اليوم لأن القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية فى جميع دواوينهم وأماكن أحكامهم ثم يجمعون المتفرق فى ملخص يرفع فى سجلهم بعد أن يطبعوا منه نسخا عديدة يوزعونها فى جميع الجيش حتى لمن يكون منهم فى غير المصر من قرى الأرياف فتجد أخبار الأمس معلومة للجليل والحقير منهم ، فلما رتبوا ذلك الديوان كما ذكر كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر فى المجلس من أمر أو نهى أو خطاب أو خطأ أو صواب وقرروا له فى كل شهر سبعة آلاف نصف فضة ، فلم

---

(١) طرازى . تاريخ الصحافة العربية ص ٤٨ ، ٤٩ ج ١

(٢) الرافعى . تاريخ الحركة القومية ص ٣٢٩ ج ٢

(٣) جلال . ص ٢٤

يزل متقيداً فى تلك الوظيفة مدة ولاية عبد الله جاك منو حتى ارتحلوا من الأقليم مضافة لما هو فيه من حرفة الشهادة بالمحكمة ، وديوانهم هذا ضحوة يومين فى الجمعة ، فجمع من ذلك عدة كراريس ولا أدرى ما فعل بها »(١)

فسلسلة التاريخ عبارة عن محاضر جلسات الديوان وسجل الحوادث الهامة التى تمر بهذا الديوان ، ووظيفة الشيخ الخشاب هنا كما يقول الجبرتى أنه يرقم كل ما يصدر فى المجلس ولا يفوت شيئا ، فكانوا ينقلون بعض ما يحدث فى الديوان ويذيعونه على مواطنيهم ، ولا شك أن هذه الأذاعة كانت تترجم إلى لغتهم ثم تنقلها إليهم جريدة لوكوربيه التى توزع على جيشهم وهو جيش فرنسى لا يعرف اللغة العربية فيما نعلم ! وهم يجمعون المتفرق عناية منهم بضبط الحوادث اليومية فى جميع دواوينهم ومنها الديوان الذى تعين له الخشاب أمين محفوظات ، وقد جمع هذا الأمين عدة كراريس لا يدرى الجبرتى ما فعل بها ، وليست الكراريس هنا إلا مجموعة محاضر الجلسات التى رقم فيها ما يجرى فى المجلس ضحوة يومين فى كل أسبوع .

وبالرجوع إلى الأغراض الأربعة التى تضمنها مرسوم جريدة (التنبيه) وهى نشر أعمال الحكومة الفرنسية ثم أخبار الديوان المصرى ثم اذاعة أخبار أوروبا وآسيا التى تهم مصر وأخيراً بعض مسائل الفن والأدب ، يتبين لنا أن نشر حوادث الديوان فى هذه الجريدة غرض ضمن أغراض أربعة ، والمفهوم من رواية كل من اعتمد على الجبرتى أو اقتنع بأن الرجل قصد من قوله السابق إلى تقرير وجود

---

(١) الجبرتى . ص ٢٥٤ ، ٢٥٨ ج ٤

هذه الصحيفة ، أنها كانت وقفا على أخبار الديوان وحده وأسقطوا من حسابهم المرسوم وما احتوى عليه من أغراض ظاهرة .

وقد رجعنا إلى كل ما يمكن الرجوع إليه من المراجع الهامة والمصادر الموثوق منها فلم نجد أثراً لهذه الجريدة إلا ما اتصل بالوثيقة التى احتوت على الامر بأنشائها فحسب ، وقد رأينا فى المكتبة الأهلية بباريس ألوانا من وثائق الحملة ولم نعثر على عدد واحد من هذه الجريدة المزعومة ، وطبيعى أن الفرنسيين الذين اعتنوا بحفظ أشياء كتبت باللغة العربية ليس لها من الخطر التاريخى شىء كثير ، كان يجدر بهم أن يحتفظوا ولو بعدد واحد من الجريدة العربية الوحيدة التى زعم البعض أنها نشرت فى عهدهم . وقد فصل الجبرتى وظيفة الخشاب فى الديوان والمحكمة ، وروى كثيرا من شعره وعلاقته ببعض أدباء العصر كالشيخ العطار ، وأطال فى شرح صلاته بشبان الفرنسيين ولم ينس حديث زوجته وابنها العليل وقبره المزار . مانظن الجبرتى يفصل هذا ثم يغفل أهم وظيفة له وهى تحرير أول جريدة عربية فى مصر ، وهى وظيفة لها من الخطر ما يفوق وظيفة الشهادة بالمحكمة وقصة امرأته وكعكها ! وخاصة إذا كان الرجل قد شغل الوظيفة حقاً وأدى واجبه فيها على الوجه الذى نص عليه مرسوم التنبيه ، على أن وظيفته فى الديوان كمسجل لأموره جميعاً ووظيفة الشهادة فى المحكمة ما كانتا تسمحان — فى رأينا — بأن يشغل رئاسة تحرير الجريدة إلا إذا تفرغ لها ووقف نشاطه عليها .

ومجمل القول إن الجبرتى لم يذكر وظيفة الخشاب فى الجريدة من بعيد أو قريب كما أنه لم يشر إليها قط . وان المرسوم الذى صدر بأنشاء التنبيه لم يعمل به . وإن كاتبا أو مؤرخا ذا قدر فى رجال الحملة الفرنسية لم يتحدث عن صدورها . وإن جميع ما ذكر عن ظهور هذه الصحيفة أو انتشارها لا ينحصر إلا فى مرسوم إنشائها فحسب .

المراجع العربية

— الجبرتى (الشيخ عبد الرحمن) . عجائب الآثار فى التراجم والأخبار . الجزء الثالث والرابع . القاهرة ١٣٢٢ هـ .

— الرافعى (عبد الرحمن بك) . تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر . الجزء الأول والثانى . ١٩٢٩ .

— تغرى بردى . النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . الجزء الأول ١٩٣٢ .

— على مبارك باشا . الخطط التوفيقية . عشرون جزءاً فى خمسة مجلدات . بولاق ١٣٠٦ هـ .

— غربال (محمد شفيق بك) . مجلة كلية الآداب . المجلد الرابع الجزء الأول ١٩٣٦ .

— فيليب دى طرازى (الكونت) . تاريخ الصحافة العربية . أربعة أجزاء . بيروت ١٩١٣ .

— مجلة المشرق . العام الثالث .

المراجع الفرنجية

١ — وثائق مطبوعة

— Correspondance De Napoléon Ier. T. IV-V. Paris MDCCLX

— Keller, A. Correspondance, Bulletins et Ordres du Jour de Napoléon. T. IV

٢ — الكتب

— Bevan, E. A History of Egypt Under Ptolemic Dynasty London 1927

— Bourrienne, F. Memoires de M. De Bourrienne. T. II Paris 1829

— Butcher. The Story of the Church. London 1897

— Charles-Roux, F. Bonaparte Gouverneur d'Egypte. Paris 1936

— De La Roque. Voyage au Liban et Syrie. Paris 1776

— De Volney. Voyage au Syrie et L'Egypte.

— Déscription de l'Egypte, 2e éditon. T. XVI

— Desgenettes, N, R, D. Souvenir d'un médecin de l'éxpédition d'Egypte, Paris 1892

— Dictionnaire Etymologique de la Langue Française. Paris 1939

— Dupont, P, Histoire de l'Imprimerie. Paris 1854

— Galal, K, E, Entstehung Und Entwicklung der Tagespresse in Agypten, Limburg an der Lahn 1939

— Galland, A. Tableau de l' Egypte pendant le séjour de l'armée francaise, an XI

— Grant. A. J- A History of Europe Part. 2

— HammerPourgstall. Histoire de L'Empire Ottoman.

— Hanotaux, G, Histoire de la Nation Egyptienne : T, V, L'Egypte Turque, Pachas et Mamelouks du XVIe, au XVIIIe siécles, l'Expédition du Général Bonaparte. Henri. D. Paris 1931

— Larousse du XXe Siécle, Tome II

— Munier, J. La Presse en Egypte (1799-1900) Notes et Souvenirs, Le Caire 1930

— Nouveau Larousse Illustré

— Reynier, De l'Egypte aprés la bataille d'Héliopolis et considérations générales sur l'organisation Physique de ce pays, Paris 1802

— Rigault, G, Le Général Abdallah Menou et la derniére phase de l'éxpédition d'Egypte Paris 1911

— Rousseau, M. F. Kléber et Menou en Egypte depuis le depart de Bonaparte (Août 1799 - Septembre 1801) Paris 1900

— Weill, G. Le Journal, Origines, Evolution et Rôle de La Presse Périodique. Paris 1934

٣ — الدوريات

— Annuaire de La République Française. L'An VII Le Caire An VII

— Le Courrier de l'Egypte. 1798-1801

— La Décade Egyptienne. 1798-1801

٤ — مقالات فى المجلات العلمية

— Belin, M. Notice Nécrologique et Littéraire Sur M. J. J. Marcel. Journal Asiatique 5e série, Tome III, 1854

— Canivet, R. G. L'éxpédition d'Egypte. La Revue Internationale d'Egypte, 1906

— Canivet, R. G. L'Imprimerie de l'expédition d'Egypte. Les Journaux et Les Proces- Verbaux de L'Institut (1798-1801) Bulletin de l'Institut Egyptien 5e Série. Tome III. Fasc 1-2. 1909

— Geiss, M. A. Histoire de l'Imprimerie en Egypte. Bulletin de l'Institut Egyptien 5e série Tome I. 1907

قاموس الأعلام

(ب)

قاموس الصحف

للمؤلف

١ ـ الحياة الثانية

قصة أدبية بدأت حوادثها فى السودان وانتهت فى مصر ، عرض فيها المؤلف للحب العفيف فى أروع صوره وعالج بها كثيراً من جوانب الحياة الاجتماعية فى مصر والسودان . . . والطبعة الثالثة مصورة بالألوان .

٢ ـ فى المصايف

كتاب اجتماعى ينقد فيه المؤلف حياة الناس على البحر وقد ذكر الأستاذ عباس العقاد أن هذا الكتاب قد خلق فى الأدب العربى أدباً جديداً يسمى أدب المصايف

٣ ـ فى السودان

تاريخ شامل لحياة السودان وعلاقته بمصر وشؤونه السياسية والاجتماعية ، وهو أهم مرجع عربى لحياة السودانيين وآدابهم ومجتمعاتهم وكل ما يهم الناس عن حياة السودان .

٤ ـ تاريخ الطباعة والصحافة خلال الحملة الفرنسية

أول بحث من نوعه ينشر باللغة العربية وهو دراسة علمية اعتمدتها جامعة فؤاد الأول . (طبعة ثانية) .

٥ ـ تاريخ الوقائع المصرية

١٨٢٨ — ١٩٤٢

بحث عن أقدم صحيفة صدرت فى الشرق مؤيد بالوثائق والأسانيد من محفوظات عابدين التاريخية التركية والعربية الفرنسية والإنجليزية وقد اعتمدته جامعة فؤاد الأول كأول بحث من نوعه فى اللغة العربية .

٦ ـ تطور الصحافة المصرية
وأثرها فى النهضتين الفكرية والاجتماعية

بحث فى تاريخ الصحافة المصرية منذ نشأتها سنة ١٧٩٨ إلى اليوم وقد حاز إعجاب المستشرقين وترجم إلى اللغة الروسية. وقد اعتمدته جامعة فؤاد الأول كأول بحث من نوعه فى اللغة العربية .

٧ ـ تطور النهضة النسائية فى مصر

خير ما كتب عن تاريخ المرأة المسلمة عامة والمصرية خاصة مؤيداً بالوثائق والأسانيد. وفيه خلاصة طيبة لنشاط المرأة العربية فى ميادين الأدب والسياسة والاجتماع .

٨ ـ طلعت حرب

صدر مؤرخاً لحياة زعيم الاقتصاد المصرى وفيه عرض عميق للسياسة الاقتصادية من عهد محمد على الكبير إلى سنة ١٩٢١ .

٩ ـ أعلام الصحافة العربية

كتاب صدر دارساً لحياة بعض صحفيى الشرق العربى ومصر خلال القرن التاسع عشر محتوياً على حوادث هؤلاء الصحفيين ومبيناً كفايتهم وكفاحهم وعارضاً لمواقفهم السياسية والأدبية فى مصر ولبنان وسوريا .

١٠ ـ حول الصحافة فى عصر اسماعيل

رسالة قصيرة تصور الحياة الصحفية فى عصر الخديو اسماعيل ، وهى نقد علمى مؤيد بالوثائق والأسانيد لمقال نشر فى مجلة الكاتب المصرى .

فصول الكتاب

بحمد الله تم الطبع فى يوم

الثلاثاء ١٨ يناير ١٩٤٩


Bibliotheca Alexandrina
0412550